

أوديبوس بين "البصير الأعمى" و"الأعمى البصير" في مسرح سوفوكليس

يهدف هذا البحث إلى تحليل شخصية أوديبوس في مسرحيتي "أوديبوس ملكا" و"أوديبوس في كولونوس" لسوفوكليس، هذه الشخصية التي تأثرت بنبوءة معبد دلفي: أنه سيقتل والده ويتزوج من والدته. فقد تحققت النبوءة وانتحرت أمه بعد معرفتها للحقيقة، أما أوديبوس، فقد أطفأ نور عينيه وعاش بقية حياته في ظلام عماه حتى دُفن بصورة كريمة في قرية كولونوس في مدينة أثينا. وما يهمنا في هذا البحث هو التركيز على حالتي أوديبوس قبل وبعد معرفته بحقيقة الدنس الذي كان يعيش فيه. وبالرغم من أنه كان بصرا فإنه كان أعمى من منطلق أنه كان يجهل حقيقة حياته، هذا الجهل الذي جعله لا يستطيع أن يتحكم في تصرفاته، ويورطه في ارتكاب هذا الدس. وبعد أن عرف أوديبوس حتمية قدره وفظاعة جرائمه — قتل والده والزواج من والدته — أدرك حقيقة الحياة البشرية، واستطاع من خلال معاناته السابقة أن يفكر في قراراته قبل الاندفاع في تنفيذها؛ فقد أصبح أعمى ولكنه بصيرا بمعرفته. ومن ثم ستناول هذا البحث حالتي أوديبوس بين البصير الأعمى والأعمى البصير وهذا من خلال التعبيرات النصية والمصطلحات التي تبرز هاتين الحالتين في مسرحيتي "أوديبوس ملكا" و"أوديبوس في كولونوس".

مصطلحات البصيرة والعمى (المعرفة والجهل):

بدايةً نحدد مصطلحات البصيرة والعمى، التي أستخدمت في مسرحيتي "أوديبوس ملكا" (أ.م) و"أوديبوس في كولونوس" (أ.ك)، لتشير إلى الناحية الفسيولوجية الحسية، ولتبرز أيضاً إلى الناحية المعرفية، وقد تُستخدم أيضاً هذه المصطلحات بصورة عكسية عندما تعبر عن التهكم الدرامي والسخرية.

فقد عُبر عن البصيرة والمعرفة بالمصطلحات والتعبيرات التالية:

γνωτά (البيت ٥٨، أ.م)، οὐκ ἄγνωτά (البيت ٥٨، أ.م)، εὐ οἶδα (البيت ٥٩، أ.م)،
λαμπρὸς ὄμματι (البيت ٨١، أ.م)، ἔξοιδα (البيت ١٠٥، أ.م. البيت ٩٨٥، أ.ك)، ἀκούω (البيت ١٠٥، أ.م)،
ὄρω (البيت ٢٩٣، أ.م)، μάθω (البيت ٣٥٩، أ.م)، δέδορκα (البيت ٤١٣، أ.م)،
Ἐξ ὀμμάτων δ' ὀρθῶν τε καὶ ὀρθῆς φρενὸς (البيت ٥٢٨ وما يليه، أ.م)، ἐκμαθεῖν σαφῶς (البيت ١٠٦٥، أ.م)،
προσβλέψαιμι (البيت ١١٨٣، أ.م)، διδάσκει (البيت ٨، أ.ك)، ὀρῶντα λέξομεν πάνθ' (البيت ٧٤، أ.ك)،
ἐκμάθω τίνας λόγους ἐροῦσιν (البيت ١١٤ وما يليه، أ.ك)،
ἐνεστὶν ἡγύλαβεια τῶν ποιουμένων (البيت ١١٥ وما يليه، أ.ك)،
μαθεῖν (البيت ١٣٨ وما يليه، أ.ك)، καλῶς ἔξοιδα (البيت ٢٦٩ وما يليه، أ.ك)،
ἐμάνθανον (البيت ٤٣٨، أ.ك)، αὐτὸς μαθήσῃ... μόνος (البيت ١٥٢٦ وما يليه، أ.ك)،
Τὰ μὲν τοιαῦτ' οὖν εἰδὸτ' ἐκδιδάσκομεν (البيت ١٥٣٩، أ.ك).

بينما عبر عن العمى والجهل بالمصطلحات والتعبيرات التالية:

οὐκ εἰσεῖδόν (البيت ١٠٥، أ.م.) μὴ βλέπω (البيت ٣٠٢، أ.م.) Οὐχ γνωστόν (البيت ٣٦١، أ.م.)
 Λεληθέναι (البيت ٣٦٦، أ.م.) οὐδ' ὄραν (البيت ٣٦٧، أ.م.) τυφλὸς τὰ τ' (البيت ٣٧٤، أ.م.)
 ὥτα τὸν τε νοῦν τὰ τ' ὀμματ' εἶ (البيت ٣٧٠ وما يليه، أ.م.) τρέφη πρὸς νυκτός (البيت ٣٧٤، أ.م.)
 φῶς ὄρα (البيت ٣٧٥، أ.م.) ὁ μηδὲν εἰδὼς (البيت ٣٩٧، أ.م.) βλέποντα ... σκότον (البيت ٤١٩، أ.م.)
 τυφλὸς γὰρ ἐκ δεδορκότος (البيت ٤٥٤، أ.م.) οὐ γὰρ φρονοῦντά σ' εὖ βλέπω (البيت ٦٢٦، أ.م.)
 οὐκ εἰδέναι (البيت ٧٤٥، أ.م.) οὐκ εἰδὼς τί δράς (البيت ١٠٠٨، أ.م.) οὐκ ὄψοιντό (البيت ١٢٧١، أ.م.)
 σκότου νέφος (البيت ١٣١٣ وما يليه، أ.م.) γιγνώσκω σαφῶς (البيت ١٣٢٥، أ.م.)
 ὄψεις μαρᾶναι (البيت ١٣٢٧، أ.م.) ζῶν τυφλός (البيت ١٣٦٧، أ.م.)
 ὀμμασιν ποίοις βλέπων (البيت ١٣٧١، أ.م.) οὐκ οἶδ' (البيت ١٣٨٩، أ.م.)
 ὀμματα ... λαμπρά (البيت ١٤٨٣، أ.م.) οὐθ' ὄρων οὐθ' ἱστορῶν (البيت ١٤٨٤، أ.م.)
 προσβλέπειν οὐ σθένω (البيت ١٤٨٦، أ.م.) ἀδηλοῦμεν (البيت ٣٥، أ.ك.) ἀνδρὸς μὴ βλέποντος (البيت ١٤٨٦، أ.م.)
 (البيت ٧٣، أ.ك.) ἀλλοτρίοις ὀμμασιν εἶπον (البيت ١٤٦ وما يليه، أ.ك.)
 ἀλαῶν ὀμμάτων ἦσθα φυτάλμιος (البيت ١٤٩ وما يليه، أ.ك.) τῷ μὴ δύνασθαι μὴθ' ὄραν (البيت ٤٩٦، أ.ك.)
 (البيت ٥٤٧، أ.ك.) ἄνους ... ὤλεσα (البيت ٥٤٨، أ.ك.) οὐκ εἰδὼτ' οὐκ εἰδυῖα (البيت ٥٤٨، أ.ك.)
 (البيت ٩٨٣، أ.ك.) ὦ φῶς ἀφεγγές (البيت ١٥٤٩، أ.ك.)

البصير الأعمى – مسرحية "أوديبوس ملكا":

يمارس سوفوكليس في مسرحية "أوديبوس ملكا" موهبته في المفارقة الدرامية التي تثير السخرية والتهكم الدرامي، فنجد أوديبوس يعلن أنه يعرف كل شيء، وبالطبع بالنسبة للجمهور هو لا يعرف أي شيء ويجهل حتى حقيقة نسبه. ففي بداية المسرحية يبحث الملك أوديبوس عن سبب الطاعون الذي أصاب مدينة طيبة، ولا يدري أنه هو نفسه سبب هذا الطاعون؛ بقتل والده ملك طيبة والزواج من الملكة والدته، وإنجابه أطفالاً منها. ونجده يشفق على أبناء وطنه مستخدماً تعبيرات متكررة تدل على إدعائه المعرفة بأسباب آلامهم (الأبيات ٥٨-٦٤)؛ فهو يعرف ما يرغبون فيه حق المعرفة (γνωτὰ κούκ ἄγνωτὰ μοι، البيت ٥٨)، ويدرك جيداً لم يتألمون جميعاً (γνωτὰ εὖ γὰρ οἶδ' ὅτι νοσεῖτε πάντες، البيت ٥٩ وما يليه). وتكمن أهمية التعبيرات (γνωτὰ، οὐκ ἄγνωτὰ، εὖ οἶδα) في أنها تشير بصورة تهكمية إلى معرفة أوديبوس؛ فهو يعتقد أنه على علم بكل شيء،

ولكنه يجهل في الحقيقة أنه سبب الآلام والأمراض لأهل طيبة^(١). وعندما يقترب وصول نبوءة دلفي عن سبب الطاعون، نجد أوديبوس يتمنى أن يأتي الإله أبوللون بخبر ينقذ به البلاد من مصيرها، ويكون مثل بريق عينيه (*εἰ γὰρ ἐν τύχῃ γέ τῳ σωτήρι βαίῃ, λαμπρὸς ὥσπερ ὄμματι*)، تشير التعبيرات (*λαμπρὸς ὄμματι, τῳ σωτήρι βαίῃ*) بصورة تمكينية على واقع الأحداث؛ حيث تقف في علاقة عكسية مع معرفة أوديبوس عن حقيقته ومصيره؛ وتبرز جهله بما يخبئه أبوللون له من تعاسة، فسينقذ البلاد حقا، ولكن على حساب شقائه وظلام عينيه في النهاية^(٢).

ويستمر التهكم الدرامي في مرافقة كلمات أوديبوس بهدف إبراز جهله وعماه عن حقيقة الأمور. فعندما يسأله كريون هل يتكلم عن مضمون نبوءة دلفي أمام العامة، فيجيبه أن يتكلم أمام الجميع (*Ες πάντας αὐδα*)، فالمصيبة تخص الجميع ولا تخصه هو وحده فقط (*τὸ πένθος ἢ καὶ τῆς ἐμῆς ψυχῆς πέρι*)، البيت ٩٣ وما يليه، وتشير تعبيراته هنا إلى جهله بحقيقة جرمه. وبينما يروي كريون أحداث قتل الملك، يقاطعه أوديبوس بقوله إنه يعرف هذه الأحداث وسمع بها ولكنه لم يرى هذا الملك (*Ἐξοιδ' ἀκούων οὐ γὰρ εἰσεῖδόν γέ πω*)، البيت ١٠٥، وتلعب التعبيرات (*οὐ εἰσεῖδόν, ἀκούων, Ἐξοιδ'*) دورا مهما في هذا البحث؛ حيث تعبر بصورة تمكينية عن حالة أوديبوس في هذه المسرحية؛ فهو قد يكون بصيرا يعرف ويسمع ولكنه لا يرى حقيقة الأمور، فقد قتل رجلا دون أن يعرف أنه والده الملك؛ فهو لم يراه من قبل^(٣). ونجد أصداً أخرى لتعبيرات المعرفة والاستماع في بداية المسرحية على لسان الكاهن، عندما يوضح لأوديبوس أنه يستطيع معاونة أهل وطنه وإنقاذهم من الطاعون بأن يستمع إلى وحي الآلهة أو يعرف الحقيقة من أحد البشر الحكماء (*εἴτε τοῦ θεῶν φήμην ἀκούσας εἴτ' ἀπ' ἀνδρὸς οἶσθά του*)، البيت ٤٢ وما

^(١) يدعم Ioannina A.G.Katsours (Linguistic and stylistic characterization Tragedy and Menander. 1975, p.50) أن الفعل *'οἶδα* سواء جاء بسيطا أو مركبا يجلب بالتأكيد قدرا من التهكم الدرامي لمسرحية أوديبوس ملكا؛ حيث يستخدمه كثيرا بطل المسرحية الذي يعتبر ضحية الجهل. عن الإشارات إلى هذا الفعل، انظر الأبيات التالية: ٥٨ وما يليه، ٨٤، ١٠٥، ١٢٩، ٢٥٠، ٣٣٠، ٣٩٧، ٦٥٥، ٦٥٨، ٧٤٥، ١٠٤١، ١١٢٨، ١٣٧١، ١٤٥٥. ويستخدم أوديبوس أيضا الصفة *'πῶς* ليعبر بصورة تمكينية عن معرفته بكل شيء أو عدم معرفته بشيء، عن هذه الصفة أنظر الأبيات التالية: ١١ وما يليه، ٦٠، ٧٧، ٩٣، ١٤٥، ٢٢٦، ٢٤١، ٢٥٢، ٣١٣، ٣٢٧. وعن مشكلة المعرفة عند أوديبوس سوفوكليس، انظر:

M.W. Champlin, "Oedipus Tyrannus" and the Problem of Knowledge" CJ 64 no.8 (1969), pp. 337-345.

^(٢) يصرح A.Lesky (Greek Tragedy. London & NewYork 1978, p.114) أن التهكم في مسرحية أوديبوس ملكا حول كل تصريحات البطل ومعتقداته إلى العكس.

^(٣) يعلق Champlin ("Oedipus Tyrannus" and the Problem of Knowledge", p. 337) أن اسم أوديبوس لعب دورا مهما في فهم أحداث المسرحية، فقد يشير اسمه (*Οἰδίπους*) إلى الإنسان الذي يريد أن يعرف (*οἶδα*). وقد جاءت المعرفة من أفعال تدل على الرؤية مثل *ὄρω*، البيت ٤٥، *βλέπω*، البيت ٣٤٨؛ والاستماع مثل *κλύω*، البيت ٩٥٢، *ἀκούω*، البيت ٢٩٣؛ واللمس مثل *ψάύω*، البيت ١٤٦٥؛ ويجلب الفعل *ὄρω* نتيجته في الفعل *'οἶδα* بمفهوم الرؤية والمعرفة.

ويصرح L.Versényi (Arion 1 no. 3 (1962), p.24) "Oedipus: Tragedy of Self-Knowledge"، أن مسرحية أوديبوس ملكا ليست مأساة النبوءة الإلهية وتحكمها في مصير الإنسان، ولكنها مأساة المعرفة البشرية؛ إنها صراع بين الرؤية والعنى، النور والظلام، البصيرة والخطيئة، المعرفة والجهل.

عليه). تلعب أفعال الاستماع "ἀκούσας" والمعرفة "οἶσθαι" دوراً مهماً في موضوع هذا البحث؛ حيث يشير بصورة تحكيمية إلى الشئيين اللذين يفتقدان أوديبوس وأصبح أعمى عن حقيقة حياته، فكان يجب عليه أن يأخذ حذر من نبوءة الآلهة ويؤمن بمحتمية تنفيذها ويعلم العراف بالحقيقة، ولو اتبع هذا لما وصل إلى نهايته المأسوية^(١).

وتثير كلمات أوديبوس التهمك أيضاً عندما يوعد شعبه وكريون أنه سيزيل هذا الدنس ليس من أجل أصدقائه فقط ولكن أيضاً من أجل نفسه (ἀλλ' αὐτὸς αὐτοῦ τοῦτ' ἀποσκεδῶ μύσος)، وذلك خشية من إقدام قاتل الملك على قتله هو نفسه، ومن ثم فهو يفيد نفسه بقدر ما يفيدهم، في حالة قبضه على هذا القاتل (κείνῳ προσαρκῶν οὖν ἐμαυτὸν ὠφελῶ)، (الآيات ١٣٧-١٤١).

يشير التعبير "ἀποσκεδῶ μύσος" (أزيل الدنس) التهمك الدرامي؛ حيث يجهل أوديبوس أنه هو الدنس نفسه الذي يرغب في إزالته ليفيد (ὠφελῶ) المدينة؛ فحقاً بعمله هذا سيفيد الشعب، ولكن على حساب خسارة سعادته^(٢). وقمة التهمك نجده في كلمات أوديبوس، عندما يتمنى أن يصل بمعونة الآلهة إلى السعادة (εὐτυχεῖς σὺν τῷ θεῷ φανούμεθα)، أو ليسقط مع الجميع إلى القاع (πεπτωκότες)، (الآيات ١٤٥-١٤٦). من الناحية الظاهرية تعبر كلمة "εὐτυχεῖς" عن السعادة، ولكنها تبرز أيضاً من الناحية الضمنية تهمكاً واضحاً؛ حيث تقف في تناقض مع التعاسة التي سيصاب بها أوديبوس بعد ذلك، بينما يتنبأ التعبير "πεπτωκότες" بسقوط أبطال المسرحية في المعاناة ويرمز إلى جهل أوديبوس بما ينتظره من سقوط في المصائب.

وبعد ذلك يطلب أوديبوس من أهل طيبة أن يبحثوا عن القاتل (الآيات ٢٢٣-٢٢٧)، ويتوعد هذا القاتل بالعقوبات، وهنا نجد توضيحاً آخر لجهل أوديبوس، حيث يحدد بنفسه عقوبات القاتل: النفي خارج الأرض آثماً على حياته (γῆς δ' ἀπεισιν ἀσφαλῆς)، (البيت ٢٢٩). ثم يتمنى أوديبوس للقاتل الوحدة والذلة في حياته بعيداً عن الوطن (κακὸν κακῶς νιν ἄμορον ἐκτρίψαι βίον)، (البيت ٢٤٨). ويهدد أوديبوس القاتل بالعقاب، وحتى لو علم أنه شخص من أهل بيته يشتركه الحياة والمعيشة

(١) عن البيت ٤٢ وما يليه من مسرحية أوديبوس ملكاً، أنظر:

F.T. Rickards. "Sophocles Oedipus Tyrannus 40-45" (CPh 2 no. 1 (1907), pp. 97-98.

(٢) بخصوص التهمك في مسرحية أوديبوس ملكاً، يعلق.

C.M. Bowra; Landmarks in Greek Literature. London 1970, pp. 138-139.

أن أوديبوس يبحث عن القاتل ولا يعرف حقيقة أنه القاتل، وحتى عندما يعرف الحقيقة منعه عماه من تقبل هذه الحقيقة. وفي النهاية عندما اقتنع بالحقيقة أدرك أن حياته ليست لها معنى. ويستغل سوفوكليس هذه المأساة و جهل أوديبوس بالحقيقة ليكشف عن العلاقة بين الإنسان والآلهة. عن التهمك، أنظر أيضاً:

W. C. Helmbold, "The Paradox of the Oedipus" (AJPh 72 1951), pp. 293-300, esp. 298; H. Musurillo, "Sunken Imagery in Sophocles' Oedipus" (AJPh 78 1957), pp. 36-51; P.W.Harsh, "Implicit and Explicit in the Oedipus Tyrannus" (AJPh 79 1958), pp. 243-258; R.Lattimore, The Poetry of Greek Tragedy (Baltimore 1958), pp. 85-86, 89ff; R.G.A. Buxton, "Blindness and Limits: Sophokles and the Logic of Myth" (JHS 100 1980), pp. 22-37. E.P.Garrison, Groaning Tears: Ethical and Dramatic Aspects of Suicide in Greek Tragedy (Leiden, New York, Köln 1995) p. 112. D.S. Kaufer "Irony, Interpretive Form, and the Theory of Meaning" (Poetics Today 4, no. 3 The Ironic Discourse 1983), pp. 452-453. B. Lang, "The Limits of Irony" (New Literary History 27 no. 3 (1996), pp. 572-4, 582-583.

(*οἰκοῖσιν εἰ ξυνέστιος ἐν τοῖς ἐμοῖς γένοιτ' ἐμοῦ ξυνειδότος*)، البيت ٢٤٩ وما يليه)، فهو يبدي رغبة شديدة في أن يعاني هذا القاتل (*παθεῖν ἅπερ τοῖσδ' ἀρτίως ἡρασάμην*)، البيت ٢٥١). تأتي التعبيرات في صورة تهكمية؛ حيث توضح جهل أوديبوس بأن هو الشخص القاتل الذي سيعاني بعد اكتشاف حقيقته. وبعد ذلك يطلب أوديبوس من الناس أن يعاقبوا المندس (*ἀκάθαρτον*)، الذي قتل الملك النبيل الطيب (*ἀνδρός γ' ἀρίστου βασιλέως ὀλωλότος*)، البيت ٢٥٦ وما يليه)، فسدافع بنفسه عن الملك وكأنه والده (*ὥσπερ εἰ τοῦ μοῦ πατρός*)، وسيصارع (*ὑπερμαχοῦμαι*) حتى يصل (*ἀφίξομαι*) إلى اكتشاف مرتكب الجريمة والقبض عليه (*ζητῶν τὸν αὐτόχειρα τοῦ φόνου λαβεῖν*)، الأبيات ٢٦٤-٢٦٦). ولعل التعبيرات (*λαβεῖν*، *ζητῶν*، *ἀφίξομαι*، *ὑπερμαχοῦμαι*) توضح من ناحية إصرار أوديبوس على مواصلة البحث عن القاتل، ومن ناحية أخرى تبرز جهل أوديبوس وعدم وعيه بنتائج هذا البحث. وعندما يقول قائد الكورس إن الملك لا يوس قُتل على يد مسافرين (البيت ٢٩٢)، يرد عليه أوديبوس أنه سمع ذلك ولكن لا يوجد أحد شاهد هذه الحادثة (*ἤκουσα καὶ γὰρ τὸν δ' ἰδόντ' οὐδεὶς ὄρα*)، البيت ٢٩٣). وتدل الأفعال على أن السمع والرؤية مقدرات ذهنية تؤدي إلى المعرفة، وبالرغم من أن أوديبوس يرى، فإنه يفتقد بالطبع هذه المعرفة المبنية على السمع والرؤية؛ وفي المقابل بالرغم من أن الكاهن لا يرى فسيولوجيا (*εἰ καὶ μὴ βλέπεις*)، فإنه لديه معرفة بأمر السماء والأرض ومدرك تماما بأمر الوباء الذي حل على المدينة (*πολὺν φρονεῖς δ' ὅμως οἷα νόσῳ σύνεστιν*)، مثلما يوضح أوديبوس في التماسه للكاهن لينقذ المدينة (البيت ٣٠٢ وما يليه)^(١). ويؤكد الكاهن أن سمة الاندفاع كانت تسيطر على أوديبوس أثناء بحثه عن الحقيقة؛ ويوضح أن جميع البشر حمقى ولا يفكرون (*οὐ φρονεῖτε*)، ثم يحدد أن الأحزان التي سيعرضها ليست تخصه ولكنها تخص أوديبوس نفسه (البيت ٣٢٨ وما يليه). يبرز التعبير "*οὐ φρονεῖτε*" عمى أوديبوس العقلي أثناء بحثه عن القاتل، حيث يصير على معرفة القاتل بالرغم من تحذير العراف له، وتأكيده أنه لا يريد أن يسبب له الأحزان (*οὔτε σ' ἀλγυνῶ*)، البيت ٣٣٢).

ويعد الغضب من أهم الدوافع التي سيطرت على نشاط أوديبوس، وقادته إلى العمى العقلي وعدم التفكير في مصيره التعيس وعدم الحذر من حتمية تنفيذه النبوءة. فقد دفعه الغضب إلى قتل والده، الذي لم يعرفه، دون أن يفكر أن القدر قد حكم عليه أن يقتل والده ولكن اندفاعه أنساه هذا وقاده إلى الوقوع في الخطأ وارتكاب هذه الجريمة. ومرة ثانية، مثلما يوضح العراف (البيت ٣٤٣ وما يليه)، تدفعه ثورة الغضب العنيف (*θυμοῦ δι' ὀργῆς ἥτις ἀγριωτάτη*) إلى الإصرار على معرفة الحقيقة من العراف بالرغم من نهي عن هذا، ويؤكد أوديبوس بنفسه أن الغضب قد سيطر عليه (*ὥς ὀργῆς ἔχω*)، البيت ٣٤٥)، ثم يتهم العراف بالاشتراك في جريمة قتل الملك (الأبيات ٣٤٦-٣٤٨). ويسخر أوديبوس من عمى العراف بقوله بأنه لو تصادف أنه بصيرا (*εἰ δ' ἐτύγχανες βλέπων*)، ما تردد في اتهمه بأنه الشخص الوحيد الذي ارتكب جريمة قتل الملك (*τοῦργον ἄν σοῦ τοῦτ' ἔφην εἶναι μόνου*)، البيت ٣٤٨ وما

^(١) Champlin "Oedipus Tyrannus" and the Problem of Knowledge", p. 339.

يليه). يوضح أوديبوس هنا أن الأعمى لا يستطيع القتل، وأن البصير فقط هو القادر على القتل في تلميح أخير بصورة غير مباشرة إلى أن أوديبوس هو القاتل؛ حيث بعد قليل ينفجر العراف، تستفزه سخرية أوديبوس، ويقول الحقيقة: إن أوديبوس هو الرجس الذي يدنس أرض طيبة (*ὡς ὄντι γῆς τῆσδ' ἀνοσίῳ μιάστορι*)، البيت (٣٥٣)^(١).

وعندما يصطدم أوديبوس بمفاجأة أنه القاتل، يستفسر مرة ثانية من العراف عما يقوله حتى يفهم بصورة أوضح (*Ποῖον λόγον; λέγ' αὖθις, ὡς μᾶλλον μάθω*)، البيت (٣٥٩). ويعد التعبير "ὡς μᾶλλον μάθω"

(لكي أفهم أكثر) ذا دور مهم لموضوع البحث، حيث يبرز بالدليل القاطع مشكلة أوديبوس وسبب معاناته: أنه لا يعلم ما ينتظره من مصير مشئوم، وقد دفعه عماه العقلي وغضبه إلى الإصرار على تقصي الحقائق، ولذا يجب عليه الآن أن يفهم أكثر حتى يتعامل مع الأحداث. ويكرر أوديبوس كلماته التي تبرز عدم معرفته، عندما يصرح للعراف أن كلامه ليس معروفا بالنسبة له ويجب أن يعيد ما يقوله مرة ثانية (*Οὐχ ὥστε γ' εἰπεῖν γνωστόν· ἀλλ' αὖθις φράσον*)،

البيت (٣٦١). تؤكد التعبيرات "ὡς μᾶλλον μάθω" و"Οὐχ γνωστόν" جهل أوديبوس بمصيته؛ فهو بصير ولكنه أعمى بجهله وغضبه^(٢). وهذا ما يؤكد العراف، حيث يصرح أنه كلما يتحدث بصورة تفصيلية عن الحقيقة يزيد من غضب أوديبوس (*ἔν' ὀργίζῃ πλέον*)، البيت (٣٦٤). فقد دفعه جهله (*Λεληθέναι σέ*)، البيت (٣٦٦) إلى معايشة أعز

الناس عليه معايشة تحلب الحزى والعار (*σὺν τοῖς φιλτάτοις αἰσχισθ' ὁμιλοῦντ'*)، البيت (٣٦٦ وما يليه)، فهو لا يرى الشر الذي يعيش فيه (*οὐδ' ὄραν ἔν' εἰ κακοῦ*)، البيت (٣٦٧)^(٣). توضح التعبيرات " *Λεληθέναι οὐδ' ὄραν* "، عمى أوديبوس وجهله؛ وبالغم من أنه بصير فإنه يجهل حقيقة ما يعيش فيه، ولا يرى

الدنس الذي يحيط به. وعندما يؤكد العراف أن الحقيقة التي يقولها قوية (*ἔστι τῆς ἀληθείας σθένος*)، البيت (٣٦٩)، يوافق أوديبوس ولكنه ينتقده بكلمات تشير التهكم؛ حيث يصف حديثه بالضعف؛ حيث يخرج من فم رجل أعمى في أذنه وعقله وبصره (*τυφλὸς τὰ τ' ὧτα τὸν τε νοῦν τὰ τ' ὄμματα εἶ*)، البيت (٣٧٠ وما يليه). ولكن العراف يرد عليه بأن الناس جميعا سينتقدونه بعد ذلك بما ينتقده به الآن (البيت ٣٧٢ وما يليه).

مجازا نجد أن أوديبوس يصف نفسه في صورة العراف؛ فهو في الحقيقة، وليس العراف، الأعمى في سمعه وعقله وبصره. وبالرغم من بصيرته لم يستوعب النبوءة واجتاحه العمى العقلي، لم يفكر في احتمالات مصادفة والده وقتله دون أن يعرف، والآن أيضا يجتاحه العمى في حاسة السمع؛ حيث لم يستمع إلى تحذيرات كريون والعراف من مواصلة التحقيق، وبعد قليل سيصبح بالفعل أعمى البصر^(٤).

(1) Champlin Oedipus Tyrannus" and the Problem of Knowledge", p. 339.

يعلق Champlin إن قمة التصادم بين معرفة العراف وجهل أوديبوس تأتي عندما يكشف العراف عن حقيقة أن أوديبوس هو قاتل لايوس، ولكن أوديبوس يدفعه ظلام عقله إلى رفض هذه الاتهام وينتقد العراف بالعمى في أذنيه وعقله وعينه.

(2) S. Goldhill; Readin Greek Tragedy. Cambridge 1986, p. 173.

يؤكد أن الجهل والغضب والحقاقة دفعوا أوديبوس إلى عدم الاستماع للحقيقة من العراف وعدم تصديقها.

(3) R.G.A.Buxton, "Blindness and Limits: Sophokles and the Logic of Myth" (JHS 100 1980), p. 24.

(4) Buxton; "Blindness and Limits: Sophokles and the Logic of Myth", p.23.

ويواصل أوديبوس السخرية من عمى العراف؛ حيث يقول له إنه طالما يعيش في ظلام الليل (*Μιᾶς τρέφῃ πρὸς νυκτός*)، فإنه لا يستطيع أن يسئ إليه أو إلى أي أحد آخر يرى النور (*ὥστε μήτ' ἐμὲ μήτ' ἄλλον ὅστις φῶς ὁρᾷ βλάψαι π οτ' ἄν*)، البيت ٣٧٤ وما يليه^(١). يكرر أوديبوس هنا ادعاءات قوته من ناحية قدرته في رؤية النور في تناقض مع عجز العراف الذي يرى الظلام فقط^(٢). توضح الكلمات هنا علاقة النور والظلام، بالمعرفة والجهل، وبالطهر والدنس، ولكن استخدمت هذه العلاقة بصورة تهكمية؛ فالعراف الأعمى الذي يعيش في الظلام لديه المعرفة والطهر والبصيرة، أما أوديبوس الذي يرى نور الحياة يعاني من الجهل والدنس وعمى العقل بخصوص ماضيه وحاضره ومستقبله. ويواصل أوديبوس سخريته من العراف الذي لم يستطع حل الألغاز التي كان يلقبها الحيوان على أهل المدينة، وجاء هو أوديبوس الذي لا يعرف أي شيء وأوقف شر هذا الحيوان (*ὁ μηδὲν εἰδὼς Οἰδίπους, ἔπαυσά νιν*)، البيت ٣٩٧. يأتي التعبير "*ὁ μηδὲν εἰδὼς*" (الذي لا يعرف أي شيء) ليعبر بصورة تهكمية عن جهل أوديبوس بوصفه إنسانا يجهل مصيره المحتوم^(٣).

وهذا ما يوضحه العراف بعد ذلك، عندما يتحدث عن حقيقة عمى أوديبوس البصير (الأبيات ٤١٢-٤٢٥)، وبالرغم من أنه يرى، فإنه لا يرى الشر الذي وقع فيه (*σὺ καὶ δέδορκας κοῦ βλέπεις ἴν' εἴ κακοῦ*)، البيت ٤١٣، ولا المنزل الذي اتخذته لنفسه ولا من يعاشر من الناس (*οὐδ' ἔνθα ναίεις, οὐδ' ὅτων οἰκεῖς μέτα*)، البيت ٤١٤. إنه لا يعرف من أين وُلد، ويجهل أنه عدو لأسرته في الدنيا وفي دار الموتى (*Ἀρ' οἶσθ' ἀφ' ὧν εἶ; καὶ λέληθας ἐχθρὸς ὧν τοῖς σοῖσιν*)، البيت ٤١٥ وما يليه، وسيصيبه اللعنة من أمه وأبيه ويخرج من الأرض الآمنة^(٤). إنه يرى النور الآن، ولكنه سيرى الظلام بعد قليل (*βλέποντα νῦν μὲν ὄρθ', ἔπειτα δὲ σκότον*)، البيت ٤١٩، إنه لا يدرك حشد الشرور التي تحيط به

يوضح Buxton أن العراف بالرغم من أنه أعمى فإنه لديه بصيرة أعظم من الإنسان؛ فهو في نفس الوقت أقل وأعظم من الإنسان. وبالمقارنة أوديبوس ليس أكثر أو أقل من الإنسان. فمثلما يقول الكاهن (البيت ٣١ وما يليه) لا يعتبر أوديبوس مساويا للآلهة، ولكنه مثل الإنسان الأول؛ وبالرغم من أنه يرى، فإنه مثل كل البشر يفتقد البصيرة لمعرفة حقيقة نفسه والعالم الذي حوله.

^(١) H. Musurillo; "Sunken Imagery in Sophocles' Oedipus" AJP 78 no. 1 1957, p.43.

يلحق H. Musurillo أن التهكم واضح في البيت ٣٧٤ وما يليه؛ وبالرغم من أن أوديبوس لا زال مبصرا فإنه يرى النور بالفعل، وإعمائه لنفسه في نهاية المسرحية كان مجرد رمزا لوهمه السابق أنه يرى نور الحقيقة. وهنا يشير سوفوكليس إلى المشكلة الأعمق لرؤية الإنسان ومفهومه على القوى العليا؛ فهو يصور عمى البشر ومحدودية فهمهم للقوى العليا التي تحكم العالم.

^(٢) بخصوص الأبيات ٣٧٠-٣٧٥ من مسرحية أوديبوس ملكا، يوضح Goldhill (Reading Greek Tragedy, p. 219) أن عمى العراف، الذي امتد من عينيه إلى قدراته الذهنية والسمعية، منعه (حسب وجهة نظر أوديبوس) من حماية الحقيقة، وعلى أية حال كان تناول أوديبوس مجرد تنبؤ بنهايته. أنظر:

Buxton, "Blindness and Limits: Sophokles and the Logic of Myth", p.24.

^(٣) Goldhill, Reading Greek Tragedy, p. 217.

^(٤) D. Berthold-Bond; "Hegel on madness and Tragedy", HPhQ 11 no. 1 (1994), p. 77.

يؤيد D. Berthold-Bond أن أوديبوس كان ممزقا بين ما يعرفه وما يجهله عن هويته الحقيقية، فقد كان خاضعا لللعنة مزدوجة يرافقها ظلام عينيه؛ فهو لا يعرف أين يعيش ومع من يعيش.

ἄλλων δὲ πλῆθος οὐκ ἐπαισθάνη κακῶν^(١)، البيت (٤٢٤). يعكس التناقض في التعبيرات "σκότον" (βλέποντα νῦν · λέληθας · οἶσθε · οὐδ' οἰκεί· οὐδὲ ναίεις · οὐ βλέπεις · δέδορκα^٢)، التناقض في حياة أوديبوس فهو بصير ولكنه أعمى، يرى ولا يفهم، يعرف ولكنه يجهل؛ إنه يرى الآن النور، ولكنه بعد ذلك سيرى الظلام^(٣). ويستمر العراف في السخرية من ذكاء وبصيرة أوديبوس، متعجبا أن الرجل الذي لديه مهارة حل الألغاز لم يستطع حل لغز حياته (σὺ ταῦτ' ἄριστος εὐρίσκειν ἔφους^٤، البيت ٤٤٠)، وعندما يحذر أوديبوس ألا يهين مصدر عظمته (Τοιαῦτ' ὀνειδίζ' οἷς ἔμ' εὐρήσεις μέγαν^٥، البيت ٤٤١)، يرد عليه العراف أن عظمته هي التي دفعت القدر لتدمييره (Αὐτὴ γε μέντοι σ' ἡ τύχη διώλεσεν^٦، البيت ٤٤٢). فكبريائه وعظمته وتباهيه أنه يعرف كل شيء ورطه في الاندفاع وارتكاب جريمة قتل والده. ويتنبأ العراف قبل خروجه بالتحويلات في حياة أوديبوس؛ فهو يرى ولكنه سيفقد بصره (τυφλὸς γὰρ ἐκ δεδορκότος^٧، البيت ٤٥٤)، عظيم الثراء ولكنه سيصبح فقيرا (πτωχὸς ἀντὶ πλουσίου^٨، البيت ٤٥٥)^(٩)، وسيمشي إلى منفاه في أرض أجنبية يتحسس طريقه بعصاه (ξένην ἐπισκίπτει προδεικνύς γαῖαν ἐμπορεύσεται^{١٠}، البيت ٤٥٥ وما يليه)، وسيكون معروفا للجميع بأنه أخ وأب للأولاد الذين يعيشون معه (ἀδελφὸς αὐτὸς καὶ πατήρ^{١١}، البيت ٤٥٨)، وزوج وابن لنفس المرأة التي أنجبته (γυναικὸς υἱὸς καὶ πόσις^{١٢}، البيت ٤٥٩)، وابن وقاتل لأبيه في الوقت نفسه (τοῦ πατρὸς ὁμοσπόρος τε καὶ φονεὺς^{١٣}، البيت ٤٥٩ وما يليه)^(١٤). وهكذا صاحب التحول، في حالة أوديبوس من الجهل إلى المعرفة، كثير من المصائب؛ فبعد أن رافق البصر عمى الجهل، صاحب المعرفة العمى الحسي، الفقر، النفي، الدنس، ارتكاب المحارم واختلاط الدماء.

وبعد ذلك يتهم أوديبوس كرياتون بأنه يتأمر ضده، ويستفسر كرياتون من قائد الكورس هل أوديبوس اتهمه وهو مستقيم النظر والتفكير (Ἐξ ὀμμάτων δ' ὀρθῶν τε καὶ ὀρθῆς φρενός^{١٥}، البيت ٥٢٨ وما يليه). تشير هذه الكلمات التهكم أيضا؛ حيث تبرز مشكلة أوديبوس التي أدت إلى معاناته؛ فقد كان بصيرا ولكنه أعمى عن حقيقة دنسه، كما أنه بكامل قواه العقلية ولكنه لم يفكر بصورة سليمة في إمكانية تحقيق النبوءة وقتل والده^(١٦). ويعلق بعد ذلك

^(١) Buton; "Blindness and Limits: Sophokles and the Logic of Myth", p.24.

^(٢) يعلق P.W.Harsh إن الدافع المسيطر على مشهد أوديبوس والعراف هو المقارنات بين العمى والرؤية، الظلام والنور، الحكمة والجهل، فأوديبوس الذي يقول إنه مشهور للجميع لحكمته (البيت ٨)، هو نفسه الذي، عندما يشير إلى العراف، يعمل علاقة بين حكمة العراف وعماه. فالمشهد مملوء بإشارات عن العمى والجهل، الرؤية والحكمة، ويركز بصورة أكثر على جهل أوديبوس بنفسه وأصله (الأبيات ٣٦٧، ٤١٥).

P.W. Harsh: "Implicit and Explicit in the Oedipus Tyrannus". AJPh 79 no. 3 1958, p.250.

^(٣) Ελ-Αντόνα Φ.Χ., Η εννοια του πλουτου στις τραγωδιες του Ευριπίδη (Diss. Ioannina 1998), p. 68.

^(٤) يعلق G. Devereux (The Self-Blinding: of Oidipous in Sophokles: Oidipous Tyrannos", JHS 93 (1973, p.37)، إن العراف هو الوحيد الذي يعرف الجريمة المزدوجة لأوديبوس (قتل الأب، زواج المحارم)، ولكنه لم يعمل تلميحا لإعفاء أوديبوس لنفسه. وقد جاء العمى بوصفه عقابا أو قصاصا على سفاح محارم الذي ارتكبه أوديبوس. انظر أيضاً:

L.Silberman, "God and Man in "Oedipus Rex", College Literature 13 no. 3 (1986), p. 293.

^(٥) يعلق T.B.L. Webster ("Some Psychological Terms in Greek Tragedy" JHS 77 part 1 1957, p.

(153) - ضمن تفسيره للمصطلح "φρήν" في البيت ٥٢٨ - أن أوديبوس اتهم كرياتون على المستوى البصري والعقلي. انظر أيضا:

Champlin, "Oedipus Tyrannus" and the Problem of Knowledge", p. 339.

كريون على حالة الاضطراب العقلي التي تنتاب أوديبوس بعد أن عرف الحقيقة من العراف، فهو لا يراه يحسن التعقل والحكمة (*Οὐ γὰρ φρονοῦντά σ' εὖ βλέπω*)، البيت ٦٢٦^(١). وعندما تروي يوكاستا لأوديبوس قصة قتل زوجها لايبوس على يد لصوص، ومن ثم لم يقتل الابن والده خلاف ما جاء في نبوءة دلفي، يثير هذا الشك في نفس أوديبوس مصـرحاً أن هذه القصة جعلته يهـذي وتوقـف عقله عـن التفكير (*ψυχῆς πλάνημα κἀνακίνησις φρενῶν*)، البيت ٧٢٦ وما يليه). تؤكد التعبيرات هنا أن أوديبوس بالرغم من أنه بصيرا فإنه أصبح عاجزا عن التفكير^(٢).

ويؤكد أوديبوس بنفسه أنه كان يجهل ما يحدث له؛ حيث يصرح أن اللعنة نزلت عليه منذ زمن وبدون علمه (*οὐκ εἰδέναι*)^(٣). يوضح التعبير (*ἔοικ' ἔμμαντὸν εἰς ἀράς δεινὰς προβάλλον ἀρτίως οὐκ εἰδέναι*) (دون أن يعرف) بالدقة أن أوديبوس بالرغم من بصيرته فإنه أعمى من ناحية معرفة حقيقته. ولذا يطلب أوديبوس من يوكاستا أن تبصره بما لديها من معلومات (البيت ٧٤٧ وما يليه)؛ فهو يخاف جدا من عدم معرفة العراف للحقيقة (*Δεινῶς ἄθυμῶ μὴ βλέπων ὁ μάντις ἦ*)، البيت ٧٤٤)، لذا يطلب منها أن تزوده بمعلومات أخرى ولو بكلمة واحدة (*Δείξεις δὲ μάλλον, ἣν ἐν ἐξείπης ἔτι*)، البيت ٧٤٥) عن عدد المرافقين للملك (الأبيات ٧٥٠-٧٥٣)^(٤). توضح التعبيرات *Δείξεις δὲ μάλλον ἔν ἐξείπης* مدى جهل أوديبوس لحقيقة الأمور.

وبعد ذلك يؤنب أوديبوس نفسه على جرئته (الأبيات ٨٢٨-٨٣٣)؛ ويصرح أنه لا يوجد أحد سيدافع عنه وحتى لو علم أن قدره بسبب إله قاس (*ὦμοῦ δαίμονός*)، البيت ٨٢٨)، ويدعو الآلهة المقدسة ألا تجعله يرى هذا اليوم (*Μὴ δῆτα, μὴ δῆτ', ὦ θεῶν ἀγνὸν σέβας, ἴδοιμι ταύτην ἡμέραν*)، البيت ٨٣٠ وما يليه)، ويتمنى أن يُمحي من الأرض قبل أن يرى ثمار لعنته (*πρόσθεν ἢ τοιάνδ' ἰδεῖν κηλῖδ' ἔμμαντῶ συμφορᾶς ἀφιγμένην*)، البيت ٨٣٢ وما يليه)^(٥). توضح التعبيرات *μὴ δῆτ' ἴδοιμι* "πρόσθεν ἰδεῖν" عدم استمتاع أوديبوس بصيرته، فهو لا يريد أن يرى بعينه ثمار لعنته وموت قبل مجيء هذا اليوم، وهذا بالطبع يمهد لمشهد إعماء بصره الذي سيأتي بعد قليل.

^(١) Champlin, "Oedipus Tyrannus" and the Problem of Knowledge", p. 340.

^(٢) J. Gregory, The Encounter at the Crossroads in Sophocles' Oedipus Tyrannus", JHS 115 (1995), pp. 141-142.

^(٣) عن موضوع اللعنة في مسرحية أوديبوس ملكا، وبصفة خاصة في البيت ٧٤٤ وما يليه، انظر:

M.Dyson; "Oracle, Edict, and Curse in Oedipus Tyrannus", CQ n.s. 23 no. 2 (1973), p. 208.

^(٤) يعلق Champlin (p. 340) "Oedipus Tyrannus" and the Problem of Knowledge", أن أوديبوس يصل إلى اللحظة المأسوية لتدهور معرفته وإبراز جهله.

^(٥) بخصوص الأبيات ٨٣٠-٨٣٣ من مسرحية أوديبوس ملكا، يعلق D.L. Cairns (The Psychology and Ethics of AIDOS. D.L. Cairns, Honour and Shame in Ancient Greek Literature. Oxford University Press 1993, p. 217) أن اقتناع أوديبوس أنه غير قادر على تحمل منظر مثل هذا الدنس الذي يعيش فيه له علاقة برغبته في الاختفاء من أمام أنظار الآخرين، وكلامه هذا له صدى مع ما يقوله في الأبيات ١٣٨٤-١٣٨٥؛ عندما ظهر مرة ثانية وهو أعمى يبرر إعمائه لنفسه؛ حيث أنه غير قادر على النظر في عيون الآخرين (والديه في هاديس وأبنائه في طيبة). ويصرح Dyson (p. 210) "Oracle, Edict, and Curse in Oedipus Tyrannus", أن أوديبوس يظهر في هذه الأبيات بوصفه ألعبوبة في يد الآلهة، فهو ضحية مجهولة الهوية، بريئة أخلاقيا، مقهورة بطغيان قوة غاشمة.

يعمم الكورس الأحداث ويتخذ من مأساة أوديبوس نموذجاً للتدهور الأخلاقي للإنسان (الأبيات ٨٧٢-٨٧٨)؛ مصـرحاً أن الغطرسة والكبرياء يـلـدا الطغيان (البـيت ٨٧٢)^(١)، وعندما تتجاوز الإساءة الحدود في حماقة (α μη 'πίκαιρα μηδὲ συμφέροντα) ، البيت ٨٧٢ وما يليه)، تكون غير مناسبة وليست مفيدة لصاحبها (α μη 'πίκαιρα μηδὲ συμφέροντα) ، البيت ٨٧٤)، وعندما تصل إلى أقصاها، تنحدر فجأة بصاحبها إلى هوة الشقاء (ἄφαρ ἀπότομον ὥρουσεν εἰς ἀνάγκαν) ، البيت ٨٧٦) دون أن تجد له مخرجاً (ἐνθ' οὐ ποδὶ χρησίμῳ χρήται) ، البيت ٨٧٧ وما يليه)^(٢). فالكبرياء يؤدي إلى حماقة والعمى العقلي، الذي يؤدي بدوره إلى ارتكاب الإساءة المتجاوزة الحد "ὑβρις" ضد الآخرين، ومن ثم يقابل هذا بالعقاب الإلهي الذي يؤدي بالإنسان إلى المعاناة والشقاء مثل حالة أوديبوس^(٣).

ونجد قمة التهمك الدرامي عندما يتمنى الرسول، الذي لا يعرف هو أيضاً حقيقة الأمور، السعادة (ὀλβία) ليوكاستا لتعيش بين قوم سعداء (ξὺν ὀλβίοις)؛ ويصفها بالزوجة الكاملة (παντελής δάμαρ) للملك أوديبوس (البيت ٩٢٩ وما يليه). تتعارض هنا مصطلحات السعادة "παντελής ، ὀλβίοις ، ὀλβία" مع الموقف الحزن لكل من المدينة والزوجة والزوج. ويستمر الرسول في كلماته التي تثير التهمك، عندما يصرح ليوكاستا أنه يحمل أنباء

(١) عن علاقة الإساءة والطغيان "ὑβρις φυντεύει τύραννον" ، يعلق J.C. Kamerbeek ("Comments on the Second Stasimon of the Oedipus Tyrannos", WS 79 1966, pp. 80-92) أن الكورس يبرز هنا مخاوفه أن أوديبوس، إذا كائناً ما كان، وصدق كلام يوكاستا عن رفضها للنبوءات، ربما يتجاهل لعتته وتدنىس المدينة، ويحتفظ بعرشه ويصبح طاغياً حقيقياً. انظر أيضاً:

M.White, "Greek Tyranny", Phoenix 9 no. 1 (1955), p. 3. R. Scodel, "Hybris in the Second Stasimon of the Oedipus Rex", p. 220. N.R.E.Fisher, "Hybris' and Dishonour: II", G&R no. 1 (1979), pp. 41-42. T. Gould, "the Innocence of Oedipus: The Philosophers on Oedipus the King: I", Arion 4, no. 4 (1965), p. 599; L. Silberman, "God and Man in "Oedipus Rex", p. 297.

(٢) عن الأبيات ٨٧٢-٨٧٨ من مسرحية أوديبوس ملكاً، ومفهوم المصطلح "ὑβρις" في علاقة مع خطيئة أوديبوس، انظر:

R. Scodel; "Hybris in the Second Stasimon of the Oedipus Rex" (CPh 77 no. 3 (1982), pp. 215-216;

P.H. Vellacott, "The Guilt of Oedipus", (G&R 11 No. 2 (1964), p 139.

وعن هذا الموضوع، انظر أيضاً:

C.M. Bowra, Sophoclean Tragedy (Oxford, 1944), p. 165; R. Lattimore, The Poetry of Greek Tragedy (Baltimore, 1958), pp. 93-97; R.P. Winnington-Ingram, Sophocles: An Interpretation (Cambridge, 1980), pp. 179-204; R. Scodel, "The Second Stasimon of Oedipus Tyrannos" JHS 91 (1971) 119-35; R.W.B. Burton, The Chorus in Sophocles' Tragedies (Oxford, 1980), pp. 156-57; B. Knox, Oedipus at Thebes (New Haven 1957), p. 57.

وعن مفهوم المصطلح "ὑβρις" عند سوفوكليس بصفة عامة، انظر:

N.R.E. Fisher, HYBRIS. A Study in the Values of Honor and Shame in Ancient Greece (Aris & Phillips 1992), pp. 298-342.

(٣) قارن البيت ٣٨٠ وما يليه من مسرحية أوديبوس ملكاً (ὦ πλοῦτε καὶ τυραννὶ καὶ τέχνη τέχνης)

(ὑπερφέρουσα) ، حيث تقود الثروة إلى الإساءة، فالشعب قد يؤدي بدوره إلى حماقة والدمار. انظر:

R. Scodel; "Hybris in the Second Stasimon of the Oedipus Rex", pp. 215-216.; R. Doyle, "OABOΣ, KOPIOΣ, and ATH from Hesiod to Aeschylus," Traditio 26 (1970) 293-303).

حسنة (*Ἀγαθὰ*) لقصرها ولزوجها (*δόμοις τε καὶ πόσει*)، البيت ٩٣٤^(١). ومن المؤكد أيضاً أن مصطلح "*Ἀγαθὰ*" يتعارض مع أحداث المسرحية، حيث يعتقد الرسول أنه بموت الوالد المزيف لأوديبوس، يكون قد تحرر من لعنة النبوءة. ويعد الرسول هنا شخصية أخرى بصيرة، ولكنها عمياء تجهل حقيقة الأمور. يفرح أوديبوس بهذا الخبر، فقد تحرر من لعنته ويعتقد أن والده المزيف بوليبيوس قد هبط إلى دار الموتى حاملاً معه وحي الإلهة، ومن ثم بالنسبة له لا يعني الوحي شيئاً (البيت ٩٧١ وما يليه). وهكذا لا يزال أوديبوس ينتابه العمى البشري عن حقيقة الأحداث، ويصرح أنه بهذا الخبر قد عرف الحقيقة ولكن الخوف لا يزال يضلله (*Ἡὺδας· ἐγὼ δὲ τῷ φόβῳ παρηγόμενῃ*)، البيت ٩٧٤).

ويعد الخوف أحد الدوافع لعمى أوديبوس وشكه في الحقيقة، فحتى الآن لم يصل إلى الحقيقة، وهذا ما جعله يبتعد عن سرير الزوجية؛ خشية أن يكون سرير أمه (*πῶς τὸ μητρὸς λέκτρον οὐκ ὀκνεῖν με δεῖ*)، البيت ٩٧٦)، وهو بهذا اقترب من معرفته للحقيقة. وقد كان الخوف دافعاً لأوديبوس لإقصاء نفسه عن مدينة بوليبيوس والده المزيف، مثلما يصرح الرسول (*Ἡ γὰρ τάδ' ὀκνῶν κείθεν ἦσθ' ἀπόπτολις*)، البيت ١٠٠٠) الذي يؤكد أنه أتى لكي يخلص الملك أوديبوس من خوفه (*τί δῆτ' ἐγὼ οὐχὶ τοῦδε τοῦ φόβου σ', ἄναξ... ἐξελευσάμην*)، البيت ١٠٠٢ وما يليه)، وينتقد الملك بأنه من الواضح أنه لم يكن يعرف ما يصنع (*ὦ παῖ, καλῶς εἴ δῆλος οὐκ εἰδὼς τί δράς*)، البيت ١٠٠٨)، فلا شك أن خوف أوديبوس من لعنته ضلله عن سواء السبيل، وجعله يترك والده المزيف حتى لا يقتله ليلتقي بوالده الحقيقي ويقتله. ويلعب التعبير "*οὐκ εἰδὼς τί δράς*" (لا يعرف ما يعمل) دوراً مهماً في إبراز عدم معرفة أوديبوس؛ فمشكلته التي جعلته أعمى التفكير هو أنه كان يعمل بدون معرفة. وعندما تطلب يوكاستا من أوديبوس أن يتوقف عن البحث من أجل حياته الخاصة ومن أجل شقائها هي نفسها (*εἴπερ τι τοῦ σαντοῦ βίου κήδη... ἅλῃς νοσοῦσ' ἐγὼ*)، البيت ١٠٦٠ وما يليه)، صور له عماه العقلي أنها تريد ذلك خشية أن يتضح أنه ابن أمه، فيجلب لها العار (*μητρὸς φανῶ τρίδουλος, ἐκφανῇ κακῇ*)، البيت ١٠٦٣)؛ فخوفه من جرمه في حق والده ووالدته دفعه إلى عماه عن حقيقة نسبه، وجعله يفضل أن يكون من أصل وضيع وحتى لو جلب له هذا العار؛ فهو بالنسبة له أفضل من دنس جرائمه^(٢).

ومرة ثانية تتوسل يوكاستا إلى أوديبوس أن يطيعها ويتوقف عن البحث (*Ὅμως πιθοῦ μοι, λίσσομαι· μὴ δρᾷ τάδε*)، البيت ١٠٦٤)، ولكنه يرفض طاعتها ويصر على بحثه حتى يعرف الحقيقة بوضوح (*οὐκ ἂν πιθοίμην μὴ οὐ τάδ' ἐκμαθεῖν σαφῶς*)، البيت ١٠٦٥). ولا شك أن التعبير "*ἐκμαθεῖν σαφῶς τάδ'*" يتناقض مع حالة الجهل التي تحتاج أوديبوس بخصوص حقيقة حياته، ولكنه قد يتفق الآن مع سلوك أوديبوس تجاه الرغبة في المعرفة؛ تلك الرغبة التي ستحوطه من أعمى إلى بصير بالأحداث. وعندما تحاول يوكاستا

^(١) R.M. Newton, "Oedipus' Wife and Mother", CJ 87 no. 1 (1991), p. 42.

^(٢) Newton, "Oedipus' Wife and Mother", p. 42.

أن تقنعه أنها تفكر من أجل صالحه، وتقول له أفضل النصائح (*τὰ λῶστα σοι λέγω*)، البيت ١٠٦٦)، يرفض هذه النصائح معتقداً أنها تؤذيه وتضلله عن هدفه (*Τὰ λῶστα τοίνυν ταῦτά μ' ἀλγύνει πάλαι*)، البيت ١٠٦٧)، في إشارة أخرى لاستمرار حالة عماءه عن الحقيقة، وهنا تصفه يوكاستا بالشقي ذي المصير التعيس (*ᾧ δύσποτμε*)، وتتمنى ألا يعلم أبداً من هو (*εἴθε μήποτε γνοίης ὅς εἰ*)، البيت ١٠٦٨^(١). ويلعب التعبير "*μήποτε γνοίης ὅς εἰ*" (لا علم أبداً من هو) دوراً مهماً بالنسبة لأحداث المسرحية وهذا البحث أيضاً؛ حيث يوضح بدقة أن أوديبوس البصير أعماه القدر طوال أحداث المسرحية عن معرفة هويته، وعندما سيصل إلى الحقيقة، سيتمنى ألا يعرف من هو ولا الدنس الذي يعيش فيه؛ قالتها له أمه قبل أن يقولها هو. وتؤكد يوكاستا تعاسة أوديبوس بتكرار نفس الصفة "ذو المصير التعيس" (*δύσποτμε*)، البيت ١٠٧١)، وكأنها تستعرض حياة أوديبوس أمامها في هذه الصفة ثم تخرج صامتة، فقد أصبحت يوكاستا بصيرة بحقيقة حياتها مع ابنها/ زوجها، بينما لا يزال أوديبوس أعمى بجهله عن هذه الحقيقة^(٢). فعندما يعلق الكورس أن يوكاستا يملؤها الحزن الفظيع (*ὕπ' ἀγρίας ἄξασα λύπης*) ويبيدي مخاوفه لأوديبوس أن ينفجر هذا الصمت إلى شر عظيم (*τῆς σιωπῆς τῆσδ' ἀναρρήξει κακά*)، الأبيات ١٠٧٣-١٠٧٥)، يعتقد أوديبوس أن يوكاستا تفكر بكبرياء بوصفها امرأة عظيمة (*φρονεῖ γὰρ ὡς γυνὴ μέγα*)، البيت ١٠٧٧)، وتخل من وضاعة أصله (*τὴν δυσγένειαν τὴν ἐμὴν αἰσχύνεται*)، البيت ١٠٧٨^(٣). ويشير أوديبوس التهمك الصرخ عندما يبدو سعادته باكتشاف نسبة الوضع الذي لا يستطيع أن يغيره، فهو لن يتوقف عن البحث عن حقيقة أصله (*ὥστε μὴ 'κμαθεῖν τοῦμόν γένος'*)، البيت ١٠٨٥^(٤). اقترنت السعادة هنا بالاكتشاف المزيف لوضاعة أصله "*ἐκμαθεῖν τοῦμόν γένος'*"؛ ففي قرار نفسه أي شيء يكون هينا عن حقيقة أنه يعيش في دنس المحارم^(٥). ويلعب الفعل "*ἐκμαθεῖν*" دوراً مهماً في موضوع البحث؛ حيث يتناقض بصورة تهمكية مع حالة الجهل التي يعيشها أوديبوس^(٦).

(١) يعلق Garrison أن يوكاستا تعرف كل شيء عن الحقيقة، بينما لا يستطيع أوديبوس أن يتوقف عن إصراره في البحث عن الحقيقة.

Garrison Groaning Tears: Ethical and Dramatic Aspects of Suicide, p. 109; Berthold-Bond, "Hegel on Madness and Tragedy", pp. 77-78; Champlin "Oedipus Tyrannus" and the Problem of Knowledge", pp. 340-341.

(٢) يستند Goldhill (Reading Greek Tragedy, p. 216) على كلمات يوكاستا في البيت ١٠٧١ وما يليه، ليقارن بين بصيرة يوكاستا وعمى وجهل أوديبوس.

(٣) يعلق Newton ("Oedipus' Wife and Mother", p. 44) أن أوديبوس يقرأ دوافع يوكاستا بالأخلاقيات التي تشكل دائماً علاقتها؛ فمن ناحية تتكلم يوكاستا بوعي مفاجئ يظهر استنكارها لحقيقة الدنس الذي تعيش فيه، بينما يفهم أوديبوس دوافعها بصورة خاطئة، ويعبر بصورة تهمكية عن طبيعة علاقتها. فقد وصل الاثنان إلى مأزق خطير؛ فكلاهما يعمل في مستويين للإدراك مختلفة ومتناقضين، ومن المستحيل أن يتوصلا معاً في الكلام والعمل، لذا تركت المسرح. انظر أيضاً:

Cairns, AIDOS. The Psychology and Ethics of Honour and Shame, p. 301; K.Synodinou, On the Concept of Slavery in Euripides (The University of Ioannina 1977), p. 82.

(٤) يوضح Versényi ("Oedipus: Tragedy of Self-Knowledge", p. 25) أن مسرحية أوديبوس ملكاً هي مسرحية الإنجازات الفردية للبطل، فهو يقوم بالبحث الذاتي والكشف الذاتي عن الأحداث والمعرفة الذاتية يصل إلى الحقيقة ويحدث له انعكاس ذاتي يتبعه تدمير ذاتي.

(٥) عن إصرار أوديبوس على عدم إنكار أصله مهما كانت نتيجة بحثه عن حقيقة نسبه، انظر:

وعندما يكتشف أوديبوس الحقيقة (*τὰ πάντ' ἄν ἐξήκοι σαφῆ*)، البيت ١١٨٢)، يندب حظه ويخاطب نور الحياة (*ὦ φῶς*): أنه ربما سيراه لآخر مرة الآن (*τελευταῖόν σε προσβλέψαιμι νῦν*)، البيت ١١٨٣)، فكان يجب ألا يُولد ممنٌ ولد منها، وألا يعاشر من عاشرها، وألا يقتل من قتله (البيت ١١٨٤ وما يليه)^(١). يوضح التعبير *τελευταῖόν σε προσβλέψαιμι* عدم أهمية رؤية النور بالنسبة لأوديبوس، فقد كان يرى النور ولكنه لا يرى حقيقة ما يحيك له القدر من مصائب، فقد كان بصيرا ولكن أعمى عن حقيقته؛ ومن ثم اكتشف أن بصره ليس له أهمية، وتصريحه أنه قد يرى النور لآخر مرة يمهّد لإقدامه بعد ذلك على إطفاء نور عينيه.

لعبت تعبيرات الرؤية والمعرفة دورا جوهريا بوصفها قوى محرّكة للتورية والانعكاس. فنجد أوديبوس يكرر تعبيرات ادعاءات المعرفة ومقدرته على توضيح الأمور وهذا أثناء بحثه عن المعلومات المؤكدة والسريعة سواء عن سبب الوباء في المدينة أو عن قاتل الملك، إلا أنه عندما عرف الحقيقة وجد أن كل ادعاءاته زائفة وأصبحت كل مزاعمه بالمعرفة زائفة^(٢). فمسرحية "أديبوس ملكا" تعبر عن التصادم بين الوعي واللاوعي، بين ما هو واضح وما هو غامض، بين الأعمال الإرادية واللاإرادية^(٣).

ويصف الخادم حالة أوديبوس في أول ظهور له بعد معرفته للحقيقة؛ إنه غائب الوعي يهذي (*ἀλλ' εἰς ἐκεῖνον περιπολοῦντ' ἐλεύσομεν*)، البيت ١٢٥٤). وبمجرد أن يرى أمه/زوجته وقد خنقت نفسها، ينتزع مشابك شعرها ويدفعها في عينيه (الآيات ١٢٦٨-١٢٧١)، صائحا أنه لن يرى (*ὁθούνεκ' οὐκ ὄψοιντό νιν*)، البيت ١٢٧١) شقيقائه ولا سيئاته بعد الآن

R.L.Kane; "Oedipus Tyrannus, 1084-85: 'I'll not Deny my Nature?'" AJP 103 no. 2. (1982), pp. 137-143.

^(١) عن التهكم الدرامي في اعتقاد أوديبوس أن حزن وصمت يوكاستا بسبب اكتشافها حقيقة أنه من أصل وضع (الآيات ١٠٧١-١٠٨٥)

J.W.Hewitt; "An unobserved Bit of Sophoclean Irony", (CPh 25 no. 4 1930), p. 383.

^(٢) انظر: Garrison, Groaning Tears: Ethical and Dramatic Aspects of Suicide, p. 110. ويعلق P.J.

(The Limits of Political Rationalism: Enlightenment and Religion in Oedipus the Tyrant", JP 66 no. 3 2004, p. 795) أن كلمات أوديبوس في الآيات ١١٨٣-١١٨٥ تشير بوضوح أنه يعاقب نفسه لجرائمه غير المعقولة

والظالمة؛ أنه يلوم نفسه ليس فقط لزواج المحارم وقتل الأب، ولكن أيضًا لإنجابه أطفالا من هذا الزواج.

^(٣) عن تعبيرات الرؤية والمعرفة في مسرحية أوديبوس ملكا، يوضح Goldhill (Reading Greek Tragedy, p. 216). في البداية يوعده أوديبوس

أنه سيوضح الأمور (*αὐτ' ἐγὼ φανῶ*)، البيت ١٣٢) التي كانت غامضة (*τάφανῃ*)، البيت ١٣١)، وتوعده يوكاستا أن تكشف له دلائل

أن التنبؤات ليست دائما صحيحة (*φανῶ δέ σοι σημεία*)، البيت ٧١٠). ويقسم أوديبوس أنه سيعرف دلائل نسبه

(*σημεῖα τοιαύτ' οὐ φανῶ τοῦμόν γένος*)، البيت ١٠٥٩)، ويتكهن العراف أن القاتل سيتضح أنه من أهل طيبة

(*ἐγγενὴς φανήσεται Θηβαῖος*)، البيت ٤٥٢ وما يليه). وبالرغم من ذلك وجد أوديبوس أن تكهنات العراف ليست واضحة

(*κάσαφῃ λέγεις*)، البيت ٤٣٩)، وفي لحظة التعرف، ينهي أوديبوس بحثه عن الوضوح والتأكد في رعب مصرحا أن كل شيء أصبح واضحا

(*τὰ πάντ' ἄν ἐξήκοι σαφῆ*)، البيت ١١٨٢). ولكن في هذه اللحظة التي فيها اتضحت الحقيقة، يواصل الملك حديثه ويناشد ضوء الشمس

ألا يرى النور مرة ثانية بعد اليوم (*ὦ φῶς, τελευταῖόν σε προσβλέψαιμι νῦν*)، البيت ١١٨٣).

^(٤) يؤيد Berthold-Bond أن أوديبوس سيط عليه في هذه المسرحية معاناة سلطان عدم الفهم؛ فهو يعاني بسبب ظلام الجهل وقوة اللاوعي.

Berthold-Bond; Hegel on Madness and Tragedy", pp. 76-77.

(*οὐθ' οἱ ἔπασχεν οὐθ' ὅποι' ἔδρα κακά*) ، البيت ١٢٧٢^(١) . ثم يخاطب عينيه: أنهما سيصبحان في ظلام
(*ἀλλ' ἐν σκότῳ τὸ λοιπὸν*) ، البيت ١٢٧٣ حتى لا يريان ما كان يجب أن يراه
(*οὐς μὲν οὐκ ἔδει ὀψοίαθ'*) ، البيت ١٢٧٣ وما يليه)، ولا يعرفان ما يريد أن يعرفه
(*οὐς δ' ἔχρηξεν οὐ γνωσοίατο*) ، البيت ١٢٧٤^(٢) . ولاشك أن
التعبيرات *οὐκ ἔδει* ، *ἐν σκότῳ* ، *ἔδρα κακά* ، *ἔπασχεν* ، *οὐκ ὀψοίντο* "οὐ γνωσοίατο" ، *ὀψοίαθ'* لها أهمية كبيرة
لتوضيح دوافع أوديبوس لإعماء نفسه؛ فلم تساعد عيناه وبصيرته في مواجهة نبوءة دلفي، ولم تمنعه من الوقوع في دنس
قتل الأب وزواج المحارم من الأم، لذا وجد أن بصيرته ليست لها أي فائدة ويجب أن يفقد نور عينيه حتى لا يرى ثمار
دنسه وشروءه، وحتى لا يشاهد أيضا نظرات الاشمزاز أو الشفقة في عيون من حوله، فأراد أن يكون أعمى بدلا من أن
يكون بصيرا بمفهوم حسي وليس معرفي.

ولكن أوديبوس، مثلما كان تعيسا بعماه المعرفي، الآن أيضا ليس سعيدا بعماه الحسي، حيث يخاطب السحاب
المظلم البغيض الذي سقط عليه (*σκότου νέφος ἐμὸν ἀπὸτροπον, ἐπιπλόμενον ἄφατον*) ، البيت ١٣١٣ وما
يليه)، ويصفه بأنه لا يُقهر ولا يعرف السعادة (*ἀδάματόν τε καὶ δυσούριστόν <μοι>*) ، البيت ١٣١٥^(٣) .
يرمز التعبير "*σκότου νέφος*" إلى عمى أوديبوس، ووصف سحابة الظلام
بالتعبيرات "*δυσούριστόν* ، *ἀδάματόν*" يشير إلى حالة أوديبوس ومصيره المظلم التعيس الذي لا يقهر،
ولكنه مضطر أن يعيشه بعيدا عن رؤية ثمار لعنته، فقد ربط أوديبوس هنا بين آلامه ورعب الظلام وعماه المجر على^(٤) .
وربما نجد بداية التحول في حالة أوديبوس من البصير الأعمى إلى الأعمى البصير، عندما يتعرف على قائد كورس
نبلاء طيبة من صوته، ويصرح أنه بالرغم من ظلام عينيه (*καίπερ σκοτεινός*) ، فإنه يعرفه جيدا
(*ἀλλὰ γινώσκω σαφῶς*) ويعرف صوته بوضوح (البيت ١٣٢٥ وما يليه). ورغم أنه أعمى فإنه يعرف ويميز بين

^(١) يعلق Devereux على إعماء أوديبوس لنفسه ("The Self-Blinding: of Oidipous in Sophokles", pp. 37, 48-49) أن
عمى أوديبوس لنفسه جاء بوصفه عقابا لنفسه على زنا المحارم الذي ارتكبه، وما يؤكد ذلك إعماء عينيه بمشابك شعر أمه/زوجته، فعَمى أوديبوس يظهر
بوصفه نوعا من أنواع الجنون التي لها صلة بسفاح المحارم أكثر من كونها بسبب جريمة قتل الأب. ولكن بالرغم من أن عمى المجرم ونفيه لم يتطلبه وحي دلفي،
إلا أن هذا لا يعني أن العمى لم يأتي بوصفه جزاء من عقاب أوديبوس على جريمة قتل الأب. انظر أيضاً:

M.Huys, *The Tale of the Hero who was exposed at birth in Euripidean Tragedy. A Study of Motifs* (Leuven University Press 1995), p. 235; Champlin, "Oedipus Tyrannus" and the Problem of Knowledge", p. 341.

^(٢) يوضح Berthold-Bond ("Hegel on madness and Tragedy", p. 78) أن أوديبوس كان يلتصق بإصرار بحقوقه في الفهم
والوعي، ولكن أعماله في سبيل الفهم تتعرض لقوة مضادة هي قوة اللاوعي التي دمرته في النهاية. وبخصوص الأبيات ١٢٧١-١٢٧٤ من مسرحية أوديبوس
ملكا، أنظر:

A .Parry, "Sophocles, Oedipus Rex 1271-4", CQ n.s. 10, no. 2 (1960), pp. 268-27; T .Gould, "The Innocence of Oedipus: The Philosophers on Oedipus the King: I", Arion 4, no. 3 (1965), p. 383.

^(٣) Berthold-Bond, "Hegel on Madness and Tragedy", p. 92.

^(٤) Goldhill, *Reading Greek Tragedy*, p. 219.

الأصوات في بداية للحالة الجديدة التي سيعيشها أوديبوس: يعيش في ظلام عماء ولكنه يعرف حقيقة الأمور. وعندما يسأله الكورس عن كيف وجد الشجاعة لإطفاء نور عينيه (*πῶς ἔτλης τοιαῦτα σὰς ὄψεις μαρᾶναι;*)، وما القوة الإلهية التي دفعته لذلك (*τίς σ' ἐπῆρε δαιμόνων;*) البيت ١٣٢٧ وما يليه، يرد عليه أوديبوس أن أبوللون هو مصدر شروره ومعاناته (*κακὰ τελῶν ἐμὰ τάδ' ἐμὰ πάθεα*) البيت ١٣٣٠^(١)، ولكنه هو الذي أطفأ عينيه بنفسه (البيت ١٣٣١ وما يليه)، ويعلل ذلك بأنه لماذا يجب عليه أن يصير (*τί γάρ ἔδει μ' ὄρᾶν*) البيت ١٣٣٤، طالما محتوم عليه ألا يرى شيئا حلوا (*ὄρῶντι μηδὲν ἦν ἰδεῖν γλυκὺ;*) البيت ١٣٣٥^(٢). توضح التعبيرات السابقة أن البصر ليس له فائدة طالما لا يرى به إلا المصائب والدنس، ولذا فضل أوديبوس أن يعيش أعمى حتى لا يرى آثامه^(٣).

وينتقد الكورس رغبة أوديبوس في العمى، ويقول له أن الموت أفضل من العيش ضريرا (*κρείσσων γὰρ ἦσθα μηκέτ' ὢν ἢ ζῶν τυφλός*) البيت ١٣٦٧^(٤). ولكن أوديبوس يرد على الكورس بنفس وجهة نظره السابقة أنه فعل ما هو خير لحالته؛ فهو لا يستطيع أن يواجه بنظرات عينيه (*οὐκ οἶδ' ὄμμασιν ποίοις βλέπων*) البيت ١٣٧١ والده وأمه التعيسة في عالم الموتى (*πατέρα ποτ' ἂν προσεῖδον εἰς Αἶδου μολών, οὐδ' αὖ τάλαιναν μητέρ'*) البيت ١٣٧٢ وما يليه، فقد اقترب في حقهم أعمى لا يكف عنهم الموت شـنـقا (*οἶν ἐμοὶ δυοῖν ἔργ' ἐστὶ κρείσσον' ἀγχόνῃς εἰργασμένα*) البيت ١٣٧٣ وما يليه، ولا يستطيع أيضا أن يواجه أبنائه الذين ولدوا منه (*Ἀλλ' ἢ τέκνων δῆτ' ὄψις ἦν ἐφίμερος*) البيت ١٣٧٥، فهل هذا

^(١) يوضح L.S. Colchester ("Justice and Death in Sophocles", CQ 36 (1942), p. 22) أن سوفوكليس لا يجعل أوديبوس مذنباً؛ فهو يهاجم بإصرار الإله المتسبب في لعنة أوديبوس. ولكن قارن J. Gibert ("Apollo's Sacrifice: The Limits of a metaphor in Greek Tragedy", CPh 101 2003, p. 198) حيث يصرح أن كلمات أوديبوس بخصوص أن الإله أبوللون سبب معاناته لا تعني أنه يرى نفسه بمثابة ضحية الإله. وانظر أيضاً.

Dyson, "Oracle, Edict, and Curse in Oedipus Tyrannus", p. 211.; G. Kendall "the Sin of Oedipus" CR 25 no. 7 1911, p. 196.; Gould, "The Innocence of Oedipus: The Philosophers on Oedipus the King: I", p. 379.; Idem, "The Innocence of Oedipus: The Philosophers on Oedipus the King: II", p. 586.

^(٢) عن نبوءة الإله أبوللون ودوره في مصير أوديبوس، انظر:

J.Peradotto, "Disauthorizing Prophecy: The Ideological Mapping of Oedipus Tyrannus" TAPhA 122 (1992), pp. 9-10.

^(٣) يؤكد A.W.H.Adkins (Merit and Responsibility. A study in Greek Values. Chicago & London 1975, p. 98) العلاقة بين قيام أوديبوس بإعفاء نفسه وشعوره بالذنب لتدنيس دم الأسرة.

^(٤) يعلق Garrison (Groaning Tears: Ethical and Dramatic Aspects of Suicide, p. 112) أن يوكاستا اختارت حلاً مختلفاً لمشكلتها، هذا الحل الذي وجد الكورس مناسباً أيضاً لأوديبوس. ولكن أوديبوس بعد أن أدرك أن مصيره محتوم، أعمى نفس ليعبر عن فهمه وإدراكه لنفاة المعرفة البشرية، وعدم جدوى إعادة اندماجه مرة ثانية في المجتمع بعد أن عرف بدنسه. ولذا قد نفذ أوامر الملك (هو نفسه) بوصفه مجرماً؛ فقد حكم على نفسه بالنفي والفقر والتسول بوصفه دوراً جديداً له، فقد كسب بعماء رؤية جديدة للحياة البشرية.

Gould, "The Innocence of Oedipus: The Philosophers on Oedipus the King: I", p. 383. انظر أيضاً:

سيكون منظرا جميلا لعينيه، فكان الأفضل ألا يراهم بعينه أبدا (Οὐ δῆτα τοῖς γ' ἐμοῖσιν ὀφθαλμοῖς ποτε) البيت (١٣٧٧)^(١). فبالنسبة لأوديبوس العمى أفضل من مواجهة ثمار آثامه وأفضل من أن يرى نظرات الاتهام في عيون والديه وأبنائه^(٢). فقد وصل أوديبوس إلى حالة الإيمان بأنه ليس له أي قبول اجتماعي سواء من أسرته أو من أهل وطنه^(٣). فبعد أن عرف الناس حقيقة دنسه، لا يستطيع أن ينظر إليهم بأعين مفتوحة بسبب خجله (ἐγὼ κηλῖδα μηνύσας ἐμὴν ὀρθοῖς ἔμελλον ὄμμασιν τούτους ὄραν)؛ البيت ١٣٨٤ وما يليه^(٤). ولو كان باستطاعته أيضا أن يمنع الصوت عن أذنه (εἰ τῆς ἀκουούσης ἔτ' ἦν πηγῆς δι' ὧτων φραγμός) لفعل هذا حتى يحرم جسمه الحقيق من حاسة السمع أيضا (الآيات ١٣٨٦-١٣٨٨). فبالإضافة إلى أنه لا يرى، لا يرغب في أن يسمع شيئا أيضاً (ἴν' ἢ τυφλός τε καὶ κλύων μηδέν)؛ البيت ١٣٨٩، فإنه شيء جميل أن يرتاح الجسم من سماع الشرور ورؤيتها (τὸ γὰρ τὴν φροντίδ' ἔξω τῶν κακῶν οἰκεῖν γλυκύ)؛ البيت ١٣٨٩ وما يليه^(٥). هنا يوضح أوديبوس سبب تخلصه من نور عيناه؛ إنه لا يستطيع أن ينظر إلى الناس بعين مفتوحة بعد أن عرفوا خطاياهم، ولو كان باستطاعته أن يسلب جسده حاسة السمع أيضاً لفعل، لأن الأذن ترى أيضاً من خلال سماع الكلمات، ويوضح أن راحة النفس في عدم سماع ورؤية الشرور والآلام^(٦).

ينتحب أوديبوس عيني؛ حيث يطلب من ابنتيه أن يقتربا من يديه اللتين حرمتا أبيهما من عينيه αἱ τοῦ φυτουργοῦ πατρός ὑμῖν ὧδ' ὄραν)؛ البيت ١٤٨٢، بعد أن كان يرى بهما منذ قليل (τὰ πρόσθε λαμπρὰ προὔξενισαν ὄμματα)؛ البيت ١٤٨٣، فقد كان لا يرى بهما أو يعلم بهما شيئا (οὐθ' ὁρῶν οὐθ' ἱστορῶν)؛ البيت ١٤٨٤؛ ويعطي لابنتيه دليلاً على جهله: أنهما خرجا من الأحشاء التي خرج منها أبيهما (πατὴρ ἐφάνθη ἐνθεν αὐτὸς ἠρόθη)؛ البيت ١٤٨٥، والآن يبكي عليهما، حيث لا يقوى على

^(١) يوضح Berthold-Bond (Hegel on Madness and Tragedy", p. 92) أن أوديبوس كشف عن ذكريات أعماله السيئة، عندما كشف عن المفهوم الحقيقي لعمله الذي كان مختلفاً في اللاوعي. هذا الكشف ربط بين الوعي واللاوعي، بين المعرفة والجهل. انظر أيضاً:

Buxton, "Blindness and Limits: Sophokles and the Logic of Myth", p. 25.; L. Golden, "Hamartia, Ate, and Oedipus", CW 72 no. 1 (1978), p. 6.

^(٢) عن الآيات ١٣٧٧-١٣٧١ من مسرحية أوديبوس ملكا، وعلاقتها بتدنيس أوديبوس لدم أسرته، انظر:

Adkins, Merit and Responsibility, pp. 98-99. Devereux, "The Self-Blinding: of Oedipus in Sophokles", pp. 39-40.

^(٣) Goldhill, Reading Greek Tragedy, p. 219.

^(٤) بخصوص البيت ١٣٨٥ يعلق Gairns (AIDOS. The Psychology and Ethics of Honour and Shame, p. 217) أن كلمات أوديبوس هنا تعد دليلاً على أنه يمارس مشاعر الخجل التقليدية (αἰδώς)؛ حيث يرغب في عدم الرؤية أو أن يكون منظورا قبل وبعد إعمائه لنفسه. ويتفق Berthold-Bond (Hegel on Madness and Tragedy", p. 92) أن أوديبوس اعترف بذنبه؛ فبعد اللوم التمهيدي للآلهة، يرفض أن يكون هذا مبرراً لارتكابه أعماله المندسة. انظر أيضاً:

Dyson, "Oracle, Edict, and Curse in Oedipus Tyrannus", p. 211.

^(٥) Buxton, "Blindness and Limits: Sophokles and the Logic of Myth", p. 25.

^(٦) يعلق Goldhill أن أوديبوس بعد اعتقاده أنه على معرفة بالحقيقة ووعي بقدرته الإستنتاجية تحول إلى أعمى المعرفة، وقد ضرب عمى أوديبوس كل ادعاءاته بالمعرفة والبصيرة. Goldhill; Reading Greek Tragedy, p. 220.

رؤيتهما (σφῶ δακρύω, προσβλέπειν γὰρ οὐ σθένω، البيت ١٤٨٦). تعد الكلمات السابقة مهمة هنا لفهم حالة عمى البصيرة التي كان يعيشها أوديبوس قبل معرفة الحقيقة؛ فهو كان لا يرى شيئاً "οὐθ' ὁρῶν" ولا يعلم شيئاً "οὐθ' ἱστορῶν"، والآن لا يقوى على الرؤية "προσβλέπειν οὐ σθένω"، وتكرار تعبيرات عدم الرؤية هنا يوضح عدم أهمية العين لأوديبوس، حيث كان يجهل كل ما يدور حوله، لدرجة أنه أنجب من الأحشاء التي خرج منها، ولكنه يبكي لأنه لا يستطيع أن يرى ابنتيه، حيث تكمن فائدة العين في رؤية متع الحياة ولكنها ليست لها فائدة عندما ترى فقط الآثام والخطايا^(١).

وفي نهاية مسرحية "أوديبوس ملكا"، يعلق الكورس على حالة أوديبوس قبل وبعد معرفة الحقيقة (الأبيات ١٥٢٤-١٥٣٠)؛ ورغم تمتعه بذلكاء مفرط في حل الألغاز الذي عجز عنها الناس (البيت ١٥٢٤ وما يليه)، وكان رجلاً قويا (κράτιστος ἦν ἀνὴρ، البيت ١٥٢٥) ولا يوجد واحد من المواطنين إلا نظر إليه في حسد بسبب حظوظه (οὐ τίς οὐ ζήλω πολιτῶν ἦν τύχαις ἐπιβλέπων، البيت ١٥٢٦)، ولكن الآن قُذِفَ في بحر من الشقاء الخطير (εἰς ὅσον κλύδωνα δεινῆς συμφορᾶς ἐλήλυθεν، البيت ١٥٢٧)^(٢). ويعمم الكورس حالة أوديبوس ليصرح للعبارة المستخلصة من مأساته: لا ينبغي أن نصف إنسانا بالسعادة (μὴδέν' ὀλβίζειν)، قبل أن نرى اليوم الأخير من حياته (τὴν τελευταίαν ἰδεῖν ἡμέραν ἐπισκοποῦντα)، وتؤكد أنه لم يتعرض لأي شر أو معاناة (πρὶν ἂν τέρμα τοῦ βίου περάσῃ μὴδέν' ἀλγεινὸν παθῶν، الأبيات ١٥٢٨-١٥٣٠)^(٣). تقف تعبيرات الشقاء والمعاناة "παθῶν ، ἀλγεινὸν ، δεινῆς συμφορᾶς" في تعارض مع تعبيرات القوة والسعادة "ὀλβίζειν ، τύχαις ، κράτιστος ἀνὴρ"، لتلقي ضوءاً جديداً على التحول في حياة أوديبوس من البصير الأعمى إلى

(١) عن سيكولوجية أوديبوس ودوافع إعماجه لنفسه، انظر:

G. Devereux, "The self-Blinding: of Oidipous in Sophokles: Oidipous Tyrannos" (JHS 93 (1973). nn. 36-49.

(٢) Ελ-Ανστάτ, *Η εννοια του πλούτου*, p.67

(٣) عن الأبيات ١٥٢٤-١٥٣٠ من مسرحية أوديبوس ملكا، انظر:

W.M. Calder, "Oedipus Tyrannus 1515-30", (CPh 57 no. 4 1962), pp. 225-227.

ويعلق Galder (Oedipus Tyrannus 1515-30", p. 226) أن هذه الأبيات تذكر لكلمات أوديبوس في بداية المسرحية، وقد يتزايد التهكم الدرامي إذا كان المتحدث هو نفسه أوديبوس. ويدعم B. Knox (Oedipus at Thebes. New Haven, Conn., 1957, p. 194) أن مسرحية أوديبوس ملكا انتهت مثلما بدأت؛ بعظمة البطل، ولكن في النهاية نجد نوعاً مختلفاً من العظمة؛ العظمة المبنية على المعرفة، وليس على الجهل، وهذه المعرفة الجديدة، مثلما عند سقراط، معرفة جهل البشر. انظر أيضاً:

B. Arkins, "The Final Lines of Sophocles, King Oedipus (1524-30)", (CQ n.s. 38, no. 2 1988), pp. 555-558. Champlin, "Oedipus Tyrannus" and the Problem of Knowledge", pp. 341-342. S.D. Olson, "On the Text of Sophocles" Oedipus Tyrannus" 1524-30", (Phoenix 43 no. 3 (1989), pp. 189-195.

الأعمى البصير، من السعادة والقوة إلى التعاسة والضعف، من الاسم المحسود إلى الاسم التعيس؛ فقد ارتبط جهله بالحقيقة بسعادته وقوته، وأثمرت معرفته بالحقيقة عن تعاسته وضعفه وشقائه^(١).

وهكذا دارت مسرحية "أوديبوس ملكا" حول المعرفة والجهل، حول الرؤية والعمى. ولكن سوفوكليس يعكس هذه القيم بتهكم قاس؛ يعمي أوديبوس نفسه بمجرد اكتشافه للحقيقة، حيث كان يجهل مصيره عندما كان يرى. ففي اللحظة الحاسمة عندما يتحول جهله إلى معرفة ويتحول الأسود إلى أبيض، يتحول من بصير (أعمى بجهله) إلى أعمى (بصير بمعرفته)؛ فقد اكتسب بعد سقوطه المأسوي هدية التنبؤ بالغيب، وأصبح في مسرحية "أوديبوس في كولونوس" كفيفا ولكنه عرافا مقدسا.

الأعمى البصير – أوديبوس في كولونوس

يوضح أوديبوس بنفسه – في مسرحية أوديبوس في كولونوس – التحول في حياته، فبعد أن تنبأ الإله بما لاقه من شرور، أوحى أيضاً أن معاناته ستنتهي بعد وقت طويل، وسيصل في النهاية إلى أرض، تستقبله آلهة عظيمة وتعطيه مكانا يستريح فيه (الآيات ٨٧-٩٠)، وسيختتم حياته البائسة في هذا المكان (*ἐνταῦθα κάμψειν τὸν ταλαίπωρον βίον*)، البيت ٩١)، وسيصبح جسده مصدر منفعة لمن يستقبلونه في أرضهم (*κέρδη μὲν οἰκῆσαντα τοῖς δεδεγμένοις*)، البيت ٩٢)، ومصدر دمار لمن أخرجوه من وطنه ونفوه (*ἄτην δὲ τοῖς πέμψασιν οἱ μ' ἀπήλασαν*)، البيت ٩٣)^(٢). وهكذا سيصبح أوديبوس الملعون مباركا الآن؛ وبالرغم من عماه، فإنه أدرك جيدا مضمون النبوءة التي سحعله مباركا؛ فقد أصبح له قوة البطل في اللعنة والبركة^(٣). وتوضح التعبيرات *"ἄτη, κέρδη"* الدور الجديد لأوديبوس؛ فالأعمى الملعون سيصبح مكسبا للأرض التي سيدفن فيها، وفي الوقت نفسه سيحلب الدمار للبلد الذي خرج منها^(٤).

بعد أن عرف الناس بحقيقة دنس أوديبوس، نُفي من وطنه ووصل هو وابنته أنتيجوني إلى قرية كولونوس في مدينة أثينا، وقد دفعه عماه والظلام الذي يعيش فيه إلى التفكير في محنته السابقة والتعلم من المعاناة التي عاشها وأصبح إنسانا آخر يرى الحياة بمنظور آخر. فمثلا يصرح هو نفسه أن الآلام والمعاناة التي عاشها لمدة طويلة علمته الرضا والقناعة

^(١) يعلق Harsh (2004, p. 254) "Implicit and Explicit in the Oedipus Tyrannus" أن أوديبوس لم يكن سعيدا أبدا، ولكنه طوال أحداث المسرحية كان يفكر من هو، وبناء على ذلك يلعب المحاز دورا مهما في التأويل لأحداث المسرحية، وفي النهاية تستخدم الدوافع الرئيسية للمعرفة لتوضيح بصورة عامة مأساة أوديبوس، وهكذا اندمجا الضمني والصريح. وعن سعادة أوديبوس عند سوفوكليس، انظر أيضاً:

M. McDonald, Terms for Happiness Euripides (Hypomnemata 54. Göttingen 1978), pp. 30-35
Ελ-Ανοτάρ, *Η έννοια του πλούτου*, p. 70.

^(٢) T.G. Rosenmeyer, "The Wrath of Oedipus", Phoenix 6 no. 3 (1952), p. 94.

^(٣) P. Burian, "Suppliant and Saviour: Oedipus at Colonus", Phoenix 28 no. 4 (1974), p. 411.

^(٤) عن العمى بصفة عامة في مسرحية أوديبوس في كولونوس، انظر:

E.A. Bernidaki-Aldous, Blindness in a Culture of Light. Especially the Case of Oedipus at Colonus of Sophocles (New York 1990), pp. 215ff.

στέργειν γὰρ αἱ πάθαι με χῶ χρόνος ξυνὸν μακρὸς διδάσκει^(١)، البيت ٨ وما يليه^(٢). توضح التعبيرات "στέργειν... αἱ πάθαι... διδάσκει" حالة أوديبوس الحالية؛ فقد تعلم من معاناته الرضا، فهو الآن يعلم أنه يجب على الإنسان أن يرضي بمصيره المحتوم ويستسلم له، ولكن هذه المعرفة جاءت متأخرة بعد أن تورط في الدنس وعاقب نفسه بإعماء عينيه^(٣). لذا يطلب من أول شخص يقابله في منفاه أن يعلمه من الأمر ما يجهل (οὐνεχ' ἡμῖν αἴσιος σκοπὸς προσήκεις ὧν ἀδηλοῦμεν φράσαι)، البيت ٣٤ وما يليه. فقد تعلم أوديبوس من معاناته أنه لا يجب أن يتصرف قبل أن يكون على معرفة، والفعل "ἀδηλοῦμεν" يوضح أنه يجهل أمورا بخصوص هذه المدينة. ويستخدم أوديبوس بصيرته في طلب المساعدة في منفاه؛ فبعد أن أدرك أنه بموته في مدينة أثينا سيحل عليها البركات، طبقا للنبوءة، يتعامل بمبدأ تبادل المنفعة، فيقول للشخص الغريب الذي قابله إنه يريد ملك المدينة لكي يقدم له معونة صغيرة سيحني منها منفعة كبيرة (ἀν προσαρκῶν μικρὰ κερδάνη μέγα)، البيت ٧٢؛ فاستقبال أوديبوس في أرض أثينا سيحلب لها البركة. وعندما يسأله الغريب أي فائدة تأتي من رجل لا يرى (τίς πρὸς ἀνδρὸς μὴ βλέποντος ἄρκεσις؛)، البيت ٧٣، يرد عليه أوديبوس أن كل الكلمات التي سيقولها ستكون مبصرة (Ὅσ' ἂν λέγωμεν πάνθ' ὁρῶντα λέξομεν)، البيت ٧٤. وتلعب التعبيرات "ὁρῶντα ، μὴ βλέποντος" دورا دراميا مهما في توضيح التحول في حالة أوديبوس الحالية؛ فهو لا يرى ولكنه بصيرا، ضعيفا ولكنه سيقدم مساعدة كبيرة لأهل أثينا^(٤).

يتعلم أوديبوس، من الدرس الماضي ومن خلال معاناته، أنه يجب عليه أن يعلم قبل أن يعمل؛ فقد امتثل لطلب ابنته أن يلتزم الصمت حتى يرى ماذا سيقول أهل المدينة؛ فقد فضل أوديبوس الصمت (Σιγήσομαι)، البيت ١١٣ وطلب منها أن تقود أقدامه من الطريق وتخفيه في الغابة (κρύψον κατ' σὺ μ' ἐξ ὁδοῦ πόδα ἄλλος)، البيت ١١٣ وما يليه، حتى يعلم ما يقولونه من كلمات (ἕως ἂν ἐκμάθω τίνας λόγους ἐροῦσιν)، البيت ١١٤ وما يليه. ويختتم كلماته بدرس تعلمه من معاناته: إن الإنسان يجب أن يعلم قبل أن يعمل حتى يتوخى الحذر (ἐν γὰρ τῷ μαθεῖν ἔνεστιν ἡλύβεια τῶν ποιουμένων)، البيت ١١٥ وما يليه. تشير التعبيرات "ποιουμένων" "ἐκμάθω" "μαθεῖν" إلى شخصية أوديبوس الجديدة؛ وبالرغم من عماه فإنه يرغب في أن يكون بصيرا بحقيقة الأمور التي حوله قبل أن يتصرف، حتى لا يقع في كارثة أخرى. ويحدد الوسيلة الجديدة لرؤيته، حيث إنه يرى بأذنيه، فهو يرى من خلال الأصوات التي يسمعها (φωνῇ γὰρ ὁρῶ, τὸ φατιζόμενον)، البيت ١٣٨ وما يليه^(٥). هذا هو أوديبوس الجديد ير ويفهم ما تسمعه أذنيه "φωνῇ ὁρῶ"، بعد أن كان لا يستمع

^(١) يعلق A. Little إن سوفوكليس في مسرحية أوديبوس في كولونوس يوضح أن الشيخوخة تعالج كل الجراح؛ فأوديبوس العجوز يستطيع بحكمة بصيرته أن ينظر إلى آلام الماضي بدون ندم ويتقبل حاضره وينظر إلى السعادة التي تنتظره في المستقبل.

A. Little; "The Childhood of the World" The Iris Monthly 61 no. 718, 1933, p. 251.

^(٢) يصرح A. Lesky (Greek Tragedy, p. 128) أن أوديبوس في مسرحية أوديبوس ملكا قد اكتسب الحكمة خلال معاناته، وأصبح يعرف كيف يتصرف في حياته.

^(٣) Burian, "Suppliant and Saviour: Oedipus at Colonus", p. 410.

^(٤) عن البيت ١٣٨ وما يليه من مسرحية أوديبوس في كولونوس وعلاقته بمفهوم عمى أوديبوس، انظر:

Bernidaki-Aldous, Blindness in a Culture of Light, p. 138.

ولا يدرك ما يقال له من نصائح. فهو يدرك الآن، مثلما يصرح في الأبيات ١٤٤-١٤٧، أن القدر لم يتح له أن يستمر في كونه أسعد الناس حظاً (μοίρας εὐδαιμονίῃσαι πρώτης)^(١)، وأصبح يرى بعيون الآخرين (ἄλλοτρίοις ὄμμασιν εἶπεν)^(٢). والتعبير الأخير يوضح أن عيني أوديبوس كانت بلا فائدة، فهو لم يرى بهما حقيقة الواقع الذي يعيشه. وفي تعليق تحكمي من الكورس على حالة أوديبوس، يسأله هل ولد بعينين لا يبصران (ἀλαῶν ὀμμάτων ἄρα καὶ ἦσθα φυτάλμιος؛) البيت ١٤٩ وما يليه، وربما تشير هذه الكلمات إلى حياة أوديبوس، حيث كان له عينين، ولكنه لم يرى بهما دنسه ولعنته.

ويطلب الكورس من أوديبوس أن يكون بصيراً بالأمر فهو غريب في أرض أجنبية، ويجب عليه أن يكره ما تكره المدينة ويحترم ما تحب المدينة (الأبيات ١٨٤-١٨٧)، ويمثل أوديبوس لكلمات الكورس ويستمتع لصوت التقوى (εὐσεβίας ἐπιβαίνοντες) ويطلب من ابنته أنت تقوده إلى مكان يستطيع منه أن يتكلم ويسمع (τὸ μὲν εἵπομεν, τὸ δ' ἀκούσασιν) ، ويتجنب ضرورة النزاع (μὴ χρεια πολέμωμεν) ، الأبيات

(١٨٨-١٩١). هنا يتحول أوديبوس الملعون، الذي كان يعيبه الاندفاع في كل سلوكياته وعدم الاستماع إلى صوت العقل أو الدين، إلى إنسان بصير يترث في تصرفاته ويتبع التقوى ويفضل أسلوب الحوار ليتفادى أي اندفاع قد يؤدي إلى صراع يودي بحياته، مثلما فعل مع والده من قبل. فقد أدرك أوديبوس الآن كيف يتفاعل مع الأحداث التي حوله، ولن يعطي القدر فرصة للعب به مرة أخرى. فهو يوضح لكورس أهل أثينا، الذين يريدون إخراجهم من أرضهم، أن أعماله الآثمة قد فرضت عليه دون أن يعتمد ارتكابها (τά γ' ἔργα μου πεπονθότ' ἐστὶ μάλλον ἢ δεδρακότα) ،

البيت ٢٦٦ وما يليه^(٣). والآن يعلم جيداً الحقيقة (τοῦτ' ἐγὼ καλῶς ἔξοιδα) ، البيت ٢٦٩ وما يليه، إنه لم يكن شريراً بطبعه (καίτοι πῶς ἐγὼ κακὸς φύσιν) ، البيت ٢٧٠، ولكن ما فعله هو رد فعل طبيعي لمعاناته (εἰ φρονῶν ἔπρασσον) ، البيت ٢٧١، ولو تصرف بعقلانية

البيت ٢٧١ وما يليه، ما أصبح سيئاً (ἂν ὧδ' ἐγίγνομην κακός) ، البيت ٢٧٢، فقد دُفع إلى طريق لم يكن على علم به (οὐδὲν εἰδὼς ἰκόμην ἴν' ἰκόμην) ، البيت ٢٧٣، والذين دفعوه إليه يعلمون أنه سيسقط في طريق الهلاك (ὅφ' ὧν δ' ἔπασχον εἰδότην ἀπωλλύμην) ، البيت ٢٧٤^(٤). تكمن

أهمية تعبيرات أوديبوس "ἐγὼ καλῶς εἰ φρονῶν ἔπρασσον" ، "ἔξοιδα" في أنها توضح حالة أوديبوس بعد معاناته؛ فقد أصبح يعرف حقيقة الأمور جيداً، فيجب عليه التفكير قبل الاندفاع لعمل أي شيء قد يسبب له المعاناة مرة ثانية. ويبرز التعبير "καίτοι πῶς ἐγὼ κακὸς φύσιν" الجانب الأخلاقي لأوديبوس؛ أنه لم يكن

(١) بخصوص التعبير "μοίρας εὐδαιμονίῃσαι" في البيت ١٤٤ من مسرحية أوديبوس في كولونوس، تعلق McDonald (Terms for Happiness Euripides, p. 31) أن أوديبوس كان سعيداً بسبب قدره، وفي الغالب تشير السعادة هنا إلى أنه كان متحرراً من المعاناة قبل معرفة دنسه.

(٢) M.G. Shields, "Sight and Blindness Imagery in the "Oedipus Coloneus", Phoenix 15 no. 2 (1961), p. 67.

(٣) Adkins, Merit and Responsibility, p. 105.

(٤) Huys, The Tale of the Hero who was exposed at birth in Euripidean Tragedy, pp. 69, 160, 245, 264. R. A. Pack, "Fate, Chance and Tragic Error" (AJPh 60 no. 3, 1939), p. 354.

سيئ بطبعه **"κακὸς φύσιν"** أي "ظالماً"^(١)، ولكن القدر هو الذي جعله يدفع الشر بالشر حتى تتحقق النبوءة^(٢).

وهذا ما يؤكد أوديبوس بنفسه لقائد الكورس؛ حيث يطلب منه ألا يهين وجهه الذي أساءت إليه الأحداث (**μηδέ μου κάρα τὸ δυσπρόσοπτον εἰσορῶν ἀτιμάσσης**)، البيت ٢٨٥ وما يليه؛ فقد أتى إليه تقياً مقدساً حاملاً الخير لأهل المدينة (**Ἦκω γὰρ ἱερὸς εὐσεβῆς τε καὶ φέρων ὄνησιν ἀστοῖς τοῖσδε**)، البيت ٢٨٧ وما يليه^(٣). توضح التعبيرات **"φέρων ὄνησιν، ἱερὸς εὐσεβῆς، μη... ἀτιμάσσης"** أن أوديبوس الملعون الذي قد جلب الوباء لمدينة طيبة، تحول الآن إلى شخص مقدس وتقي يجب أن يعامل بالتكريم، حيث سي جلب الخير لمدينة أثينا^(٤). وهذا ما يؤكد قائد الكورس عندما يسأله أوديبوس هل سيهتهم ملك أثينا بأمره بالرغم من أنه أعمى (**Ἡ καὶ δοκεῖτε τοῦ τυφλοῦ τιν' ἐντροπὴν ἢ φροντίδ' ἔξειν**)، البيت ٢٩٩ وما يليه)، فيرد عليه قائد الكورس عى الفور أنه سيأتي بدون شك حين يعرف اسمه (**ὅταν περ τοῦνομ' αἰσθηται τὸ σόν**)، البيت ٣٠١. ومرة ثانية يستخدم أوديبوس بصيرته وثقته في مقدره في منح الخيرات، عندما يصرح أنه يجب على الملك أن يأتي من أجل سعادة مدينته ومن أجل صالحه هو نفسه (**Ἀλλ' εὐτυχῆς ἴκοιτο τῇ θ' αὐτοῦ πόλει ἐμοί τε**)، البيت ٣٠٨ وما يليه)، هنا يعطي أوديبوس درساً آخر تعلمه من معاناته الماضية: فمن الخير أن يفكر كل إنسان في مصلحته (**τίς γὰρ ἐσθλὸς οὐχ αὐτῷ φίλος**)، البيت ٣٠٩.

وعندما تأتي اسميني بالوحي من مدينة طيبة، وتؤكد لأوديبوس أن قوة طيبة تكمن الآن في جسده (**Ὡς σοὶ τὰ κείνων φασὶ γίγνεσθαι κράτη**)، البيت ٣٩٢، يسألها أوديبوس أصبح رجلاً قوياً بعد أن كان لا شيئاً (**Ὅτ' οὐκέτ' εἰμί, τηνικαῦτ' ἄρ' εἴμ' ἀνὴρ**)، البيت ٣٩٣، وترد عليه اسميني بأن الآلهة اليوم سترفع مقامه بعد أن حطت من قدره من قبل (**Νῦν γὰρ θεοὶ σ' ὀρθοῦσι, πρόσθε δ' ὥλλυσαν**)، البيت ٣٩٤.

^(١) يؤكد Adkins (Merit and Responsibility, p. 173) أن المصطلح **"κακός"** يستخدم في البيتين ٢٧٠، ٢٧٢ من مسرحية أوديبوس في كولونوس بمفهوم مضاد للمصطلح **"δίκαιος"** (عادل)، وبعد ذلك يستخدم في البيت ٩٢٠ بوصفه مرادفاً للمصطلح **"ἐκδικός"** (لا يطبق القانون).

^(٢) يعلق Cairns (AIDOS. The Psychology and Ethics of Honour and Shame, p. 222 n. 19) أن الشعور بالندس لا زال يسيطر على أوديبوس في مسرحية أوديبوس في كولونوس، هذا بالرغم من شعوره بالبراءة (الأبيات ١١٣٢-١١٣٤)، فما زال الندس يلتصق به بالرغم من أنه طاهر من الذنب في نظر القانون (**νόμφ καθαρός**)، البيت ٥٤٨، ومن المفترض أن هذا الندس لا يزول بإظهار فضيلة رعبه من جرائمه. ففي الأبيات ٢٥٨-٢٩١ يظهر أوديبوس براءته الأخلاقية بوصفه شعوراً بالخجل والعار (**αἰδώς**) من الندس الذي لحق به.

^(٣) يعلق Burian ("Suppliant and Saviour: Oedipus at Colonus", p. 412) أن أوديبوس يظهر في هذه الأبيات برأته الأخلاقية وبركته على الأرض الذي سيدفن فيها. أنظر أيضاً:

Rosenmeyer, "The Wrath of Oedipus", p. 100. D. Birge, "The Grove of the Eumenides: Refuge and Hero Shrine in Oedipus at Colonus", CJ 80 no. 1 (1984), p.15.

^(٤) يدعم Katsours (Linguistic and stylistic characterization Tragedy, p. 50) أن أوديبوس يتفوه بكلمات في الأبيات

٢٥٨-٢٩١ من مسرحية أوديبوس في كولونوس تدل على أن المتكلم شخص تقي: ٢٦٠ **θεοσεβεστάτας**، ٢٧٥ **θεῶν**، ٢٧٧ **θεοὺς ... θεοὺς**، ٢٧٨ **μοίραις**، ٢٧٩ **εὐσεβῇ**، ٢٨٠ **δυσσεβεῖς**، ٢٨١ **ἀνοσίῳ**، ٢٨٣ **ἀνοσίῳ ... ἔργοις**، ٢٨٧ **ἱερὸς εὐσεβῆς**.

(^١) يوضح التناسق بين التعبيرين "ὅτ' οὐκέτ' εἰμί" و"πρόσθε δ' ὠλλυσαν" والتعبيرات "θεοὶ δ' ὀρθοῦσι, τνικαὐτ' ἄρ' εἴμ' ἀνὴρ, γίγνεσθαι κράτη" له قوة بعد ضعف، ووقاراً بعد انحطاط، وهذه هي مكافأة المعاناة التي عاشها بدون ذنب وتعلمه من خلالها كيف يتعامل مع الحياة والبشر. وعندما يسأل أوديبوس ابنته ما النفع الذي سيعود على أهل طيبة من دفنه على أبواب مدينتهم (H δ' ὠφέλησις τίς θύρασι κειμένον;، البيت ٤٠١)، ترد عليه إن لم تحتوي أراضيهم قبره سيصيبهم شر عظيم (Κείνοις ὁ τύμβος δυστυχῶν ὁ σὸς βαρὺς، البيت ٤٠٢). ومن ثم يتسابق الجميع على إبقاء أوديبوس في أراضيهم حتى يدفن في ترابها ويجلب البركة لها؛ فسخرية القدر تجعل حياته تجلب اللعنة، وموته يمنح البركة (^٢). وهذا ما تكرره اسميني عندما تسمع قرار أوديبوس بعدم العودة إلى طيبة، فتصرح أن هذا سيحلب لهم العبء الثقيل لأهل كادموس (Ἔσται ποτ' ἄρα τοῦτο Καδμείοις βάρος، البيت ٤٠٩)؛ وهذا بسبب غضب أوديبوس كلما اقتربوا من قبره (Τῆς σῆς ὑπ' ὀργῆς, σοῖς ὅταν στῶσιν τάφοις، البيت ٤١١). ومرة ثانية مثلما دفع الغضب أوديبوس لارتكاب جريمة قتل والده، يدفعه هنا من داخل قبره ليحلب الشر للمسيئين إليه (^٣).

كان الغضب هو القوى المحركة لأوديبوس في كل مراحل حياته وأيضاً بعد مماته. يصرح أنه كان أعمى يحتاجه الغضب (ὀπηνίκ' ἔξει θυμὸς، البيت ٤٣٤)، فقد كان أحب شيء على نفسه، بعد أن عرف دنسه أن يموت أو يرجم بالحجارة (τὸ κατθανεῖν ἦν καὶ τὸ λευσθῆναι πέτροις ἥδιστον δέ μοι، البيت ٤٣٤ وما يليه)، ولم يجد أحد يحبه أو يفيدته في مأساته (οὐδεὶς ἐρῶντος τοῦδ' ἐφαίνετ' ὠφελῶν، البيت ٤٣٦). وبعد أن هدأت معاناته أدرك (ἐμάνθανον) أن الغضب (θυμὸν) هو الذي دفعه إلى معاقبة نفسه على خطايا السابقة (πρὶν ἡμαρτημένων، الأبيات ٤٣٧-٤٣٩) (^٤). توضح التعبير "πρὶν ἡμαρτημένων, θυμὸν, ἐμάνθανον" أن أوديبوس كان يجهل كل ما يحيك له من أحداث دفعته إلى ارتكاب الخطايا، ولكنه فهم أخيراً أن الغضب دفعه إلى الحماسة والعنى العقلي ولم يفكر في أي موقف واجهه؛ قتل والده وعاقب نفسه والآن يعاقب مدينته وأولاده. فقد أخرجته مدينته بالقوة والعنف (ἐπωφελεῖν...οὐκ ἠθέλησαν)، وبالرغم من أنهم كانوا قادرين على مساعدته، فإنهم تركوه للنفي والبؤس (φουγὰς σφιν ἔξω πτωχὸς ἡλώμην، الأبيات ٤٤٠-٤٤٤).

(^١) بخصوص البيت ٣٤٤ من مسرحية أوديبوس في كولونوس، يعلق Adkins (Merit and Responsibility, p. 139) أن الإلهة أصبح يهملها الآن رد اعتبار أوديبوس، وخصوصاً أن لديه القليل من حياته، فقد أصبح بطلاً بدون أن يعرف، وسينال قبره التكريم.

(^٢) يوضح Lesk (Greek Tragedy, pp. 126-127) أن سوفوكليس عرض لنا في مسرحية أوديبوس ملكاً إنساناً ليس له حول ولا قوة في مواجهة القوى العليا التي ورطته في الشقاء والبؤس، وفي مسرحية أوديبوس في كولونوس قدم لنا رجلاً عاني معاناة كبيرة فينال شفقة الآلهة ويتخلص من شقائه، ومثل أي بطل يجلب الخير لأصدقائه.

(^٣) يعلق Burian ("Suppliant and Saviour: Oedipus at Colonus", p. 412) أن أوديبوس يفهم الآن قوة اللعنة والبركة الكامنة في عظامه بعد موته؛ فهو يستطيع أن يؤدي بها أهل طيبة ويفيد بها أهل أثينا في حالة حدوث حرب بينهما على أرض قبره؛ فبصيرته جعلته يفهم مصيره البطولي ونمو قوته بالرغم من عماه. أنظر أيضاً:

Η.Π.Δημητρίου, Η οργή στην αρχαία ελληνική τραγωδία (Diss Ioannina 1978), p.256

(^٤) Δημητρίου, Η οργή στην αρχαία ελληνική τραγωδία, p. 66.

(٤٤). أما الآن فهو يعرف قدر نفسه ويطلب من أهل أثينا أن يقدموا له الحماية في بلدهم (*ἀλκὴν ποιεῖσθαι*)، في مقابل أن يكون منقذاً كبيراً لمدينتهم (*πόλει μέγαν σωτήρα*)، ومصدر آلام لأعدائه (*ἐμοῖς ἐχθροῖς πόνοους*)، الأبيات ٤٥٧-٤٦٠). ومن ثم لن يلعب أوديبوس هنا دور المستجير فقط، ولكن دور المنقذ أيضاً لمن يستقبل جسده في أرضه، وهذا ما يؤكد الكورس عندما يمتدح أوديبوس بوصفه منقذاً للأرض (*τῆσδε γῆς σωτήρα*)، البيت ٤٦٢ وما يليه)، ويتمنى أن يُقبل وجوده في أرض أثينا بوصفه مستجيراً منقذاً (*δέχεσθαι τὸν ἰκέτην σωτήριον*)، البيت ٤٨٦ وما يليه^(١).

ويوضح أوديبوس أن عجزه الآن (*Ἐμοὶ μὲν οὐχ ὀδωτά*) جاء بسبب نقيصتين سيئتين (*δυοῖν κακοῖν*): فهو ليس قويا وليس بصيرا (*τῷ μὴ δύνασθαι μήθ' ὁρᾶν λείπομαι γὰρ ἐν*)، البيت ٤٩٥ وما يليه). يرافق الضعف "μὴ δύνασθαι" هنا عدم الرؤية "μὴ ὁρᾶν"، ولكن هذا يقف في تعارض مع الأحداث في نهاية مسرحية "أوديبوس في كولونوس"؛ حيث لا يخاف أوديبوس الموت؛ وبالرغم من عماه فإنه الوحيد الذي يستطيع أن يتحمل الرعد والبرق ويذهب بخطى ثابتة تجاه نور عالم الموتى.

ويؤكد أوديبوس أيضاً أن جهله وعماه بخصوص حقيقة الأمور هو سبب ما وقع فيه من آثام؛ فقد جاء زواجه بالمصادفة بعد أن ورطته مدينة طيبة في هذا الزواج البغيض (*Κακῇ εὐνῇ*)، وكان يجهل ما يتبع هذا الزواج من حماقة ودمار (*οὐδὲν ἴδρις γάμων ἐνέδησεν ἄτα*)، البيت ٥٢٥ وما يليه). توضح التعبيرات "ἄτα، ἐνέδησεν" العمى البشري الذي وقع فيه أوديبوس، فهو كان يجهل خطورة هذا الزواج، ولهذا وقع في ارتكاب الخطيئة غير المقصودة التي جلبت له الدمار (*ἄτα*). ويؤكد أوديبوس أنه ارتكب فعل القتل (*ἐφόνευσα*)، لأنه كان يجهل ما يفعل (*ἄνους ... ὤλεσα*)، ومن ثم فإنه برئ في نظر القانون (*νόμῳ δὲ καθαρὸς*)، حيث إنه فعل ذلك بدون علم (*ἄιδρις ἐς τόδ' ἦλθον*)، الأبيات ٥٤٦-٥٤٨^(٢). تكمن أهمية هذه الأبيات وتعبيراتها في أنها توضح بالدقة أن أوديبوس بالرغم من أنه كان بصيرا فإنه كان أعمى العقل "ἄνους"؛ فقد كان يجهل ما يفعل، وارتكب جريمته عن طريق خطأ غير مقصود (*ἁμαρτία*)؛ أنظر بعد ذلك البيت ٩٦٧)، لذا فهو برئ أمام القانون؛ حيث ارتكب جريمة بدون علم "ἄιδρις"^(٣).

^(١) Burian, "Suppliant and Saviour: Oedipus at Colonus", p. 413.

^(٢) عن ذنب أوديبوس، أنظر: Vellacott, "The Guilt of Oedipus", pp. 137-148.

^(٣) يرجع أرسطو سبب معاناة أوديبوس إلى خطأ غير مقصود "ἁμαρτία"، فهو يستبعد الفسق الأخلاقي وأن تكون المسرحية دراما خطيئة وعقاب (Arist. Poet. 1453a, c.13). فالجريمة تمت عند مفترق الطرق، حيث قتل أوديبوس رجلاً غير معروف له وهو في حالة ثورة من الغضب، ومن ثم لا يعتبر هذا السلوك جريمة في المفهوم اليوناني ولا تستحق مثل هذا العقاب. يدعم Golden ("Hamartia, Ate, and Oedipus", pp. 5, 10) أن الـ *ἁμαρτία* في مسرحية أوديبوس ملكا، خطيئة عقلانية وليست أخلاقية؛ حيث يجرب أوديبوس الاختبار الإلهي والمقابل، وتثبت معاناته ضعف الإنسان ومع التجربة يسترد نور معرفته العقلانية. وضعف أوديبوس كان *ἁμαρτία*؛ بمفهوم خطيئة التقدير العقلاني للأمور، وليست نتيجة للـ *ἄτη*؛ بمفهوم فعل التدخل الإلهي المعادي والمدمر في مصير البشر.

ويعلق Kendall ("The Sin of Oedipus", pp. 195-197) أن خطيئة أوديبوس تكمن في عدم تفاديه للأحداث التي يجهلها.

ويوضح Versényi ("Oedipus: Tragedy of Self-Knowledge", pp. 25-26) أن الـ *ἁμαρτία* هي دافع أوديبوس لكي يعرف نفسه، فقد سيطرت عليه من أجل المعرفة الذاتية والبحث عن الحقيقة، الأمر الذي كان بمثابة النقيضة التراجيدية التي قادتته إلى السقوط. فالـ

ويتحدث أوديبوس لملك أثينا عن منفعة جسده بالنسبة لمدينة أثينا؛ وبالرغم من أن جسده شقي (*ἄθλιον δέμας*) وذو منظر وضع (*οὐ σπουδαῖον εἰς ὄψιν*)، فإنه هدية (*δῶρον*)، ومكسبه (*κέρδη*) أفضل من شكله الجميل (*κρείσσον' ἢ μορφὴ καλὴ*)، (الآيات ٥٧٦-٥٧٨)^(١). هنا توضح التعبيرات *ἄθλιον*، *οὐ σπουδαῖον*، *κέρδη*، *δῶρον* التحول في حالة أوديبوس بعد معرفة أهمية جسده للمدينة التي ستحتويه في ترابها؛ فبعد شقائه ومنظره الملعون أصبح هدية ومكسب بسبب بركته. ويؤكد أوديبوس أيضاً لملك أثينا أنه يعرف الغيب؛ وهذا تحول آخر لأوديبوس الذي كان يجهل مصيره؛ فهو يعرف الآن مستقبله، ويوضح للملك أنه لا يجب أن يكشف له عن أمور الغيب، ولكنه يجب أن يثق أنه لن يستقبل شخصاً غير مفيد (*ἀχρεῖον οἰκητῆρα*)، إذا لم تكذب عليه الآلهة (*εἴπερ μὴ θεοὶ ψεύσουσί με*)، (الآيات ٦٢٤-٦٢٨). توضح التعبيرات السابقة أن أوديبوس أصبح جديراً بثقة الآلهة فيه، حيث أنه على يقين أنهم أعطوه نبوءة صحيحة عن بركة جسده. ويميز هذا التحول في حالة أوديبوس عدم تملك الغضب منه، وهذا ما يؤكد الملك ثيسبيوس عندما تحدث عن غضب أوديبوس وتهديداته بعدم الخروج من الأرض المبارك في أثينا؛ حيث يوضح أن الناس إذا تملك منهم الغضب (*θυμῶ*) أكثر من التهديدات (*Πολλὰ ἀπειλαί*) ولكن إذا عادت إليهم عقولهم (*φροῦδα τάπειλήματα*)، (الآيات ٦٥٨-٦٦٠). فالعقل عندما يتحكم في تفكير أوديبوس، سيذهب عنه الغضب ويمتثل لمطالب أهل أثينا، فالغضب *θυμός* مرتبط بغياب العقل *νοῦς*، ولكن أوديبوس أصبح متعقلاً^(٢).

وتعد فضيلة الرضا بالواقع والقناعة سمة من سمات شخصية أوديبوس الجديدة التي تتميز بالتعقل؛ فعندما يعرض كريون على أوديبوس أن يعود معه إلى طيبة، يرفض ويختتم كلامه بأنه يعلم أنه لن يقنعه (*οἶδα γὰρ σε ταῦτα μὴ πείθω*) فليتركه يعيش في هذه الأرض، فما دام الإنسان يرضى بحياته (*εἰ τερποίμεθα*) لن يشقى وحتى لو ساءت هذه الحياة (*οὐ γὰρ ἂν κακῶς οὐδ' ὧδ' ἔχοντες ζῶμεν*)، (الآيات ٧٩٧-٧٩٩). توضح التعبيرات *οὐ κακῶς*، *εἰ τερποίμεθα*، *οἶδα* أن أوديبوس الأعمى فسيولوجياً أصبح على دراية جيدة بحقائق الحياة، فالقناعة هي القيمة التي تجعل الإنسان سعيداً بحياته، وحقاً لم أصابها تغبرات القدر، فالمعرفة (*οἶδα*) — تؤدي إلى الرضا (*τερποίμεθα*) — الذي بدوره يؤدي إلى السعادة (*οὐ κακῶς ζῶμεν*)^(٣).

ἁμαρτία لا تعني الإثم أو الذنب ولكن تعني وقوع الإنسان في الخطأ بسبب ظلام الحياة المملوء بالجهل وحتى لو كان الإنسان على علم. فالعيب لا يقع في أوديبوس بوصفه حالة خاصة، ولكن بوصفه إنساناً يعيش في عالم لم يصنع لكي يكون الإنسان فيها عارفاً بكل شيء. فهمارتيا أوديبوس لا تعبر عن إثم أو ذنب أو حتى عن سقوط إنسان، ولكنها عيب موروث في الحياة والبشر.

ويؤيد T.C.W. Stinton "Hamartia in Aristotle and Greek Tragedy" CQ ns 25 no. 2 1975, pp. 226, (236) أن أوديبوس كان ذا مزاج مندفع، وقد وقع في ال *ἁμαρτία*، التي تعني هنا خطأه الكبير عندما تورط بدون قصد في قتل والده والزواج من أمه، فالهمارتيا *ἁμαρτία* كانت نوعاً من الفهم الخاطئ للحقيقة بسبب جهل أوديبوس لهوية والديه. أنظر أيضاً:

Gould, "The Innocence of Oedipus: The Philosophers on Oedipus the King: I", pp. 363, 372-3.

(1) Burian, "Suppliant nad Saviour: Oedipus at Colonus", p. 415.

(2) Webster, "Some Psychological Terms in Greek Tragedy", p. 153.

(3) عن تكرار سوفوكليس للفعل *οἶδα* بمفهوم الرؤية والمعرفة، وخصوصاً في نقاط التحول والتعرف في المسرحية، أنظر: Aldous, Bernidaki - Blindness in a Cultue of Light, pp. 148f

ويسخر كريون من سلوك أوديبوس ورفضه العودة إلى طيبة ويسأله ألم يعلمه الزمان أن يكون متعقلا في تصرفاته (οὐδὲ τῷ χρόνῳ φύσας φανῇ φρένας ποτέ)، البيت ٨٠٤ وما يليه). يشير كريون هنا إلى الحالة الماضية لأوديبوس؛ فقد كان بصيرا ولكنه كان أعمى بجهله وتصرفه بحماقة وبدون تفكير، والآن يجب أن يتعلم من هذا الدرس الماضي ويجب أن يفكر قبل أن يأخذ قرارا^(١). ويوضح كريون مشكلة أوديبوس بصورة أكثر، حيث يحدد أن الغضب (θυμός/ὄργη) كان دائما هو سبب معاناته، فدائما كان ينصت لغضبه الذي أساء إليه (ὄργη χάριν δοῦς ἢ σ' αἰεὶ λυμαίνεται، البيت ٨٥٥). ويؤكد له أن الغضب لا يعرف الشيخوخة فقط، بل يؤدي إلى الموت أيضاً (θυμοῦ γὰρ οὐδέν ἐστι γῆρας ἄλλο πλὴν θανεῖν، البيت ٩٥٤، وما يليه)^(٢). وبعد أن أدرك أوديبوس حقيقة ما حدث له، يوضح لكريون أنه وقع في خطيئة غير مقصودة (ἁμαρτίας)، جلبت له الخزي والعار (ὄνειδος، البيت ٩٦٦ وما يليه)، فقد ارتكب الخطايا في حق نفسه وحق أسرته (τάδ' εἰς ἑμαυτὸν τοὺς ἐμούς θ' ἡμάρτανον، البيت ٩٦٨)^(٣). قتل والده دون أن يعلم، فكيف يعلم وقد جاء الوحي لأبيه قبل أن يولد هو بأنه سينجب ابنا سيقتله (البيت ٩٦٩ وما يليه)^(٤). أما بالنسبة للزواج من أمه فقد ورطه فيه أخوها كريون، ولقد ولدته أمه دون أن يعلم ودون أن تعلم (οὐκ εἰδὸτ' οὐκ εἰδυῖα، البيت ٩٨٣)، وأنجبت منه أبناء كانوا سب عارها (τεκούσά με αὐτῆς ὄνειδος παῖδας ἐξέφυσέ μοι، البيت ٩٨٤). وهكذا تؤكد تعبيرات أوديبوس السابقة أن سبب خطيئته (ἁμαρτίας) هو عدم المعرفة وعماه عن حقيقة ما يدار حوله ولهذا تورط في العار والدنس الذي جلب له في النهاية الدمار (ἄτη)^(٥). ولكن يؤكد أوديبوس الآن أنه يعلم (ἔξοιδα، البيت ٩٨٥) أسباب ما حدث له؛ فهو ليس مسئول عن موت أبيه وزواجه من أمه (الأبيات ٩٨٨-٩٩٠)، فلقد دبـرت الآلهة كل شيء وورطته في كل هذه الشرور (Τοιαῦτα μέντοι καὐτὸς εἰσέβην κακά, θεῶν ἀγόντων، البيت ٩٩٧ وما يليه)^(٦). فالفعل "ἔξοιδα" له

(١) بخصوص المصطلح "φρένες" في البيت ٨٠٥ من مسرحية أوديبوس في كولونوس، يعلق Webster "Some Psychological Terms in Greek Tragedy", pp. 153-154 أن هذا المصطلح له علاقة بالجسد؛ حيث يوضح أن أوديبوس يجب أن ينمو لديه التفكير الناضج الذي يناسب شيخوخته؛ ففي الشيخوخة يجب أن تتزايد الحكمة. قارن البيت ٦٢٢ من مسرحية السبعة ضد طيبة لإسخيولوس:

γέροντα τὸν νοῦν, σάρκα δ' ἡβῶσαν φύει,

(٢) عن الغضب ودوره في جرائم أوديبوس، انظر:

Pack, "Fate, Chance and Tragic Error, pp. 354-355.; T.G. Rosenmeyer, "The Wrath of Oedipus"; Phoenix 6 no. 3 (1952), pp. 92-112.

(٣) بخصوص الكلمات "ἡμάρτανον، ἁμαρτία" في البيت ٩٦٧ وما يليه م مسرحية أوديبوس في كولونوس، يعلق R.D.Dawe "Some Reflections on Ate and Hamartia" CPh 72 1968, pp. 117-118 أن المصطلح "ἁμαρτία" يظهر غير كافيا لوصف الأحداث المأسوية لأوديبوس؛ فمن غير المعقول أن نرى خطيئة خلال الأحداث، والعنصر التراجيدي لمعالجة سوفوكليس لهذه الرواية هو إصرار أوديبوس على اكتشاف الحقيقة، ولاشك أن السبب المباشر لسقوط أوديبوس هو اكتشافه هويته، فبدون هذا الاكتشاف كان سيستمر ملكا لطيبة ولن يعمي نفسه. ف ἁμαρτία أوديبوس من فئة الخطايا التي تجبر الإنسان على ارتكابها دون قصد وقد تؤدي إلى دماره "ἄτη".

(٤) D. Collins, "Nature, Cause, and Agency in Greek Magic" (TAPhA 133 no. 1 (2003), pp. 33-34.

(٥) عن الخطيئة "ἁμαρτία" والدمار "ἄτη" في مسرحيتي أوديبوس ملكا وأوديبوس في كولونوس، انظر:

Daw, "Some Reflections on Ate and Hamartia", pp.90, 108, 111, 116-120; Golden, "Hamartia, Ate, and Oedipus", pp. 3-12.

(٦) عن القدر ودوره في خطيئة أوديبوس، انظر: Pack, "Fate, Chance, and Tragic Error", pp. 351-353.

أهميته الدرامية في توضيح حالة أوديبوس الآن، وبالرغم من أنه أعمى فإنه بصير يعلم حقيقة ما حدث له وما سيحدث له.

ومرة أخرى نتحدث أنتيجوني عن الغضب بوصفه أحد أسباب عمي أوديبوس عن حقيقة الأمور؛ فهي تطلب منه أن يستمع لكلام ابنه ويفكر في ماضيه وفي المعاناة التي عاشها بسبب أمه ووالده، والتي أثبتت له أن الغضب ينتج الشر *(γνώση κακοῦ θυμοῦ τελευτήν ὡς κακὴ προσγίγνεται)*، البيت ١١٩٧ وما يليه، وتعد عيناه اللتان فقدتا النور دليلاً واضحاً على ذلك *(τῶν σὼν ἀδέρκτων ὁμμάτων τητῶμενος)*، البيت ١٢٠٠^(١). فالغضب هو المسبب الأول لعمي أوديبوس المعرفي والحسي، فهذا أدى إلى جهله بالأحداث التي تورط فيها من البداية وتسببت في إقدامه على تدمير نفسه ذاتياً وإطفاء نور عينيه^(٢).

ولكن أوديبوس يعلم الآن الغيب؛ وبالرغم من عماه فإنه أدرك أن صاعقة زيوس ذات الجناحين تدل على قرب موته *(βροντὴ πρὸς "Αἰδὸν Διὸς πτερωτὸς ἦδε μ' αὐτίκ' ἄξεται)*، البيت ١٤٦٠ وما يليه. ويصرح لابنته أن حياته وصلت للنهاية *(ἦκει τῶδ' ἐπ' ἀνδρὶ θέσφατος βίου τελευτῇ)*، البيت ١٤٧٢ وما يليه، ولا يمكن لأحد تأخير هذا، فهو على علم بأجله المحتوم *(κὺνκέτ' ἔστ' ἀποστροφῇ)*، البيت ١٤٧٣. وعندما يسأله ثيسبيوس عن دلائله على قرب موته، يرد عليه أن الآلهة أخبروه بذلك *(Αὐτοὶ θεοὶ κήρυκες ἀγγέλλουσί μοι)*، البيت ١٥١١، وهذه العلامات التي ذكرها هي دلائل موته *(ψεύδοντες οὐδὲν σημάτων προκειμένων)*، البيت ١٥١٢. وهكذا أصبح أوديبوس الملعون مباركا يتمتع برضا الآلهة وبصيرا يعرف الغيب. ويؤكد ذلك ثيسبيوس مصرحاً أوديبوس أقنعه بأن نبوءاته الكثيرة ليست كاذبة *(Πείθεις με· πολλὰ γὰρ σε θεσπίζονθ' ὁρῶ κοῦ ψευδόφημα)*، البيت ١٥١٦ وما يليه.

ويؤكد أوديبوس معرفته بالغيب *(Εγὼ διδάξω)*، البيت ١٥١٨، عندما يتحدث مع ثيسبيوس عما سيقدمه من خير للمدينة *(ἃ σοὶ γήρως ἄλγυπα σὴ τε κείσεται πόλει)*، البيت ١٥١٨ وما يليه، ويؤكد له أن في هذا اليوم لن يقوده أحد، ولكنه سيقوده هو الأعمى إلى حيث يموت *(Χῶρον μὲν αὐτὸς αὐτίκ')*، البيت ١٥٢٠ وما يليه، ويطلب منه ألا يخبر أحد بهذا المكان حتى يكون درعا لبلاده من كل الشرور *(ἔξηγήσομαι, ἄθικτος ἡγητῆρος, οὐ με χρὴ θανεῖν)*، البيت ١٥٢٤، ويخبره أن هناك أسرار سيعرفها هو وحده *(αὐτὸς μαθήσῃ... μόνος)* عندما يصاحبه إلى مكان موته (البيت ١٥٢٦ وما يليه).

ويؤكد Pack أنجرمة قتل الأب والزواج من الأم لا تعتبر ذنوباً لأوديبوس، حيث أنها أعمال تمت تحت ظروف الصدفة ومن فعل القدر. ولكن تكمن خطيئة *(ἁμαρτία)* أوديبوس في عدم إطاعته لتحذيرات النبوءات التقليدية.

ويلق W.R.Agard أن أوديبوس أراد أن يخدم شعبه، فحكم عليه القدر أن يصبح وباء على شعبه، ليوضح كيف تتحكم القوى العليا في حياة البشر. فهو ضحية الصدفة ويعد نموذجاً لعجز البشر أمام المعرفة وعلم الغيب.

(W.R.Agard) "Fate and Freedom in Greek Tragedy", CJ 29 no. 2 1933, pp. 117, 121.

ويذكر Ahrendorf أن أوديبوس بالرغم من مجهوده في تجنب اللعنة، إلا أن الصدفة العمياء والآلهة القاسية قادت به إلى ارتكاب جرائمه المؤسفة. كل هذا يثبت أن البشر عبارة عن ألعوبة في يد الصدفة والآلهة، ومن المستحيل أن يعيش الإنسان في سعادة دائمة ويكتسب رضا الآلهة.

Ahrendorf; "The Limits of Political Rationalism: Enlightenment nad Religion in Oedipus the Tyrant", p. 795.

^(١) Burian, "Suppliant nad Saviour: Oedipus at Colonus", p. 426.

^(٢) Harsh, "Implicit and Explicit in the Oedipus Tyrannus", p. 257.

يليه). فلا يجب أن يعرف هذه الأسرار أحد من سكان الأرض
(*ὥς οὐτ' ἂν ἀστῶν τῶνδ' ἂν ἐξείποιμί τω*)، البيت (١٥٢٨)، ولا حتى ابتلاه اللتان يجهما (البيت
١٥٢٩). توضح التعبيرات "*μαθήση, ἀλκὴν, ἄλυπα, ἐξηγήσομαι, διδάξω*" سمات شخصية أوديبوس الجديدة،
فهو بالرغم من كونه أعمى، فإنه يعلم، يقود، ويدافع من أجل خير البلاد. ويؤكد ذلك عندما يقول لثيسبيوس أنه لن
يعلمه أكثر مما هو عليم به (*Τὰ μὲν τοιαῦτ' οὖν εἰδότη' ἐκδιδάσκομεν*)، البيت (١٥٣٩)^(١). ونجده يقود
ابنتيه مثلما كانتا يقوداه من قبل (*ἐγὼ γὰρ ἡγεμῶν σφῶν αὖ πέφασμαι καινός*)، البيت ١٥٤٢ وما
يليه)، ويطلب منهما أن يتركاه ولا يلمساه (*Χωρεῖτε, καὶ μὴ ψαύετε*)، لأنه سيذهب وحده إلى
القبر (*ἐἴτέ με αὐτὸν τὸν ἱερὸν τύμβον ἐξευρεῖν*) الذي أراد القدر أن يستقر فيه بين أهل هذه الأرض
(*μοῖρ' ἀνδρὶ τῷδε τῇδε κρυφθῆναι χθονί*)، الآيات (١٥٤٤-١٥٤٦)؛ وهكذا يقود الأعمى الناس ويذهب
وحده إلى قبره^(٢).

يذهب أوديبوس إلى ضوء الموت وحده؛ ويخاطبه أيها الضوء المظلم (*ὦ φῶς ἀφεγγές*)، البيت (١٥٤٩)؛ فهو
يرى الضوء، ولكن بالنسبة له قائم اللون مظلم لأنه كفيفاً، ثم يواصل حديثه أن أشعة هذا الضوء ستسمه لآخر
مرة (*ἔσχατόν σου τοῦμὸν ἄπτεται δέμας*) في إشارة إلى موته، فهو يتحرك ليخفي ما تبقي من حياته في هاديس
(*ἔρπω τὸν τελευταῖον βίον κρύψων παρ' Αἰδην*)، الآيات (١٥٤٩-١٥٥٢). فبالنسبة لأوديبوس، يرمز هذا
الضوء إلى موته، مثلما كان يشير في الماضي إلى لعنته؛ فعندما كان بصيراً كان الضوء بالنسبة له غير مفيد؛ حيث لم
يساعده في معرفة حقائق اللعنة التي تورط فيها، ولكنه عندما أصبح أعمى يعاني من ظلام عينيّه، يتعرف على الحقيقة
ويدرك مفاهيم الحياة التي يعيشها ويصبح مباركا، ولكن في هذه الحالة يمثل الضوء له حياة أخرى في عالم الموتى بدو لعنة
وبدون جهل، يرافقه البركة والبصيرة.

ويتحدث الرسول عن معجزة موت أوديبوس (*Τοῦτ' ἐστὶν ἤδη κάποθανμάσαι πρόπον*)، البيت (١٥٨٦)؛
فقد كان لا يقوده أحد ولكنه هو الكفيف الذي يقود الجميع
(*ὁφηγητῆρος οὐδενὸς φίλων, ἀλλ' αὐτὸς ἡμῖν πᾶσιν ἐξηγούμενος*)، البيت ١٥٨٨ وما يليه^(٣).
وعندما وصل الجميع إلى مكان القبر، وجد إليه ينادي "أوديبوس" بتكرار
(*Καλεῖ γὰρ αὐτὸν πολλὰ πολλαχῇ θεός*)، ليتبعه إلى طريق الموت (الآيات ١٦٢٦-١٦٢٨)^(٤). فلم تقتله
الصاعقة الملتهبة لزيوس ولا عاصفة أرسلها البحر، إنما قاده أحد الآلهة أو انشقت الأرض وابتلعت لتجعله بعيداً عن
الأم، لقد مضى بدون نحيب أو ألم يسببه مرض، إنها معجزة للبشر ولا تبدو منطقية للعقل (الآيات ١٦٥٨-١٦٦٥)

^(١) Colchester, "Justice and Death in Sophocles", pp. 22-23.

^(٢) يوضح Buxton (25) ("Blindness and Limits: Sophokles nad the Logic of Myth", p. 25) أن العلاقة بين العمى
والبصيرة جاءت أيضاً في مسرحية أوديبوس في كولونوس؛ ففي البداية يتعاطف الجمهور مع عجوز أعمى عاجز، ولكن بعد ذلك يصبح من الواضح أنه لديه
بصيرة أعظم من البشر الآخرين ولديه معرفة بمصيره الذي ينتظره. ونجد سوفوكليس يجعله يتصرف كأنه ينصر من الناحية الفسيولوجية. انظر أيضاً:

Shields, "Sight and Blindness Imagery in the "Oedipus Coloneus", p. 67.

^(٣) Rosenmeyer, "The Wrath of Oepidus", p. 111.

^(٤) Lesky, Greek Tragedy, p. 129.

(^١). وبعد ذلك يحظر الملك ثيسوس ابنتا أوديبوس من البكاء عليه (*Παύετε θρήνον*)، فالمدينة كلها تدين لأوديبوس بالجميل (*χάρις*، الأبيات ١٧٥١-١٧٥٣). وهكذا يصبح أوديبوس الملعون المبارك، الذي يمنح البركات. ويوضح ثيسوس لابنتي أوديبوس أنه محظور على أي إنسان أن يعرف قبره أو يقترب من مكانه المقدس (الأبيات ١٧٦٠-١٧٦٣). فقد أصبحت المكان الذي دفن فيه أوديبوس مكانا مقدسا؛ عاش ملعونا على الأرض، وأنهى حياته مباركا تحت الأرض.

وهكذا وضح لنا التحول في شخصية أوديبوس بين المسرحيتين؛ في مسرحية "أوديبوس ملكا" نجد ملكا يلعن نفسه لجهله وعماه عن حقيقة حياته، ولم يعرف هويته إلا في النهاية؛ بينما في مسرحية "أوديبوس في كولونوس" إنسانا يكسب معرفة بالغيب ويصبح بصيرا بالرغم من عماءه، ويكتسب قوة لعن وإيذاء أعدائه. في نهاية المسرحية الأولى يعمي أوديبوس نفسه ويتوسل من أجل نفيه ويدخل قصر والده بوصفه شخصا منبوذا من البشر والآلهة؛ بينما في المسرحية الثانية يكتسب أوديبوس الرؤية الداخلية التي تقوده إلى طريق وطنه النهائي، بل ويدخل الأماكن المقدسة التي حُرمت على البشر، ويقترب من الآلهة التي عاملته بقسوة في بداية المسرحية الأولى. في مسرحية "أوديبوس ملكا" اعتقد نفسه منقذا لوطنه ولكن بعد أن عادت له بصيرته وعرف الحقيقة اكتشف أنه عدوا لوطنه؛ بينما في مسرحية "أوديبوس في كولونوس" أصبح منقذا حقيقيا للأرض التي سيدفن فيها. فقد حدث له تحول من شخص أعمى منبوذ من المجتمع إلى بطل قوي خارق للعادة؛ وربما يكون هذا التحول بسبب التماسه العفو من إلهات الرحمة في كولونوس، أو بسبب معاناته شريدا في غربته.

في النهاية نستطيع أن نقول أن أوديبوس كان يبحث عن نور المعرفة ليبدد به ظلام جهله. وفي لحظة معرفته الحقيقة يعمي عينيه، ويتحول من البصير/الأعمى إلى الأعمى/البصير. فقد تحولت حالته كلياً وأصبح في مسرحية "أوديبوس في كولونوس" مصدرا للنور، فقد كان في مسرحية "أوديبوس ملكا" أعمى في رؤيته للحقيقة، وحاول أن يرى ما يستطيع أن يراه، وفي النهاية عندما أصبح ملكا على طيبة رأي نفسه وبدأ يبحث عن نسبه. وفي مسرحية "أوديبوس في كولونوس" تحول من البصير/الأعمى إلى الأعمى/البصير؛ وأصبح رجلا مقدسا مثل تيرسياس العراف الأعمى؛ فقد منحته الآلهة مصيرا خاصا، وأصبح يتحدث مثل العرافين تدعمه سلطة أبوللون، ويتنبأ بالحرب بين طيبة وأثينا، وموت ابنه، وسيجلب البركات للذين يسمحون له بالدفن في أراضيهم؛ إنه تحول من أوديبوس الملعون إلى أوديبوس المقدس.

وهكذا نحن أمام شخصيتين لأوديبوس أثبتا أنه لا يوجد علاقة بين البصيرة الحسية والبصيرة المعرفية، ولا بين العمى الحسي والعمى المعرفي. فقد تدفع الظروف الخارجة عن إرادة الإنسان البصير فسيولوجيا أن يكون أعمى؛ جاهلا مغيبا عما يحدث من حوله من أحداث تخصه أو تخص غيره، بينما قد يكون الإنسان الأعمى فسيولوجيا لديه بصيرة معرفية بسبب المعاناة التي يعيشها، مثل رحلة المعاناة التي عاشها أوديبوس والتي بدأها بصير النظر ولكنه أعمى بجهله وعدم تعقله وأنهاها أعمى النظر ولكنه بصيرا بمعرفته وحكمته.

فريد حسن الأنور

كلية الآداب - جامعة عين شمس

faridelanwar@yahoo.com

(^١) عن معجزة موت أوديبوس وتكرمه بعد حياته المأسوية، انظر:

R. Sri Pathmanathan, "Death in Greek Tragedy" (G&R n s 12 no. 1 (1965), p. 7.